الهجرة النبوية تخطيط وأخلاق
دراسة تطبيقية من القرآن الكريم والسنة النبوية

د. ميسرة محمد عدنان درويش الجاروشة
أستاذ مساعد تفسير القرآن الكريم وعلومه
كلية الدراسات الإسلامية – قسم القرآن وعلومه
جامعة المدينة العالمية – ماليزيا

١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م

ملخص البحث

يسعى البحث إلى تحسين وتصحيح أوضاع الأمة والارتفاع بمستواها الأخلاقي والاجتماعي من خلال دراسة السيرة النبوية بشكل تطبيقي يراد منه تجسيد الحقيقة الإسلامية كاملة فى مثلها الأعلى محمد ﷺ، وذلك من خلال هجرته ﷺ، ويهدف البحث إلى الربط بين التخطيط والأخلاق، وكيف كانت الأخلاق سببًا لنجاح التخطيط، مع تطبيق ذلك على مراحل الهجرة ورجالاتها، من خلال آيات قرآنية شاهدة على أن كمال أخلاق النبي ﷺ سبب لحسن تخطيطه وتدبيره، وأخلاق أصحابه وما رباهم عليه ﷺ؛ وذلك بالربط بين آيات الكتاب والسنة، وتكمن أهمية البحث في إبراز حاجة الأمة لاستشراف المستقبل والتخطيط السليم لحاضرها ومستقبلها وما في ذلك من إعطاء الأمل بمستقبل أفضل من خلال العلوم المعاصرة للتخطيط، واستنباط أصول هذه العلوم من القرآن الكريم وسنة رسول الله وربطها بواقع الناس، واعتمدت المنهج الاستقرائي الاستنباطي والوصف والمقارنة، وأحيانا المنهج التحليلي، وجمعت للبحث الصبغة التفسيرية جنبًا إلى جنب مع السيرة النبوية، وعند ذكر خطوات التخطيط ومراحله وأهدافه وأهميته ذكرت شاهدها من الهجرة بين قوسين بالإشارة للحدث دون تفصيل فيه، فليس المقصود سرد أحداث الهجرة، بل الاستنباط منها.

وأهم نتائج البحث:

١. الإسلام على وجه الخصوص قد ردم الفجوة بين النظرية والتطبيق، والهجرة نموذج حيٌّ نعيش آثاره حتى اليوم.

٢. المضي في تفسير السيرة النبوية على منهج القرآن الكريم الذي قصَّ علينا سِيَرَ الأنبياء.

٣. وقائع الهجرة تؤكِّد كلها على ضرورة التخطيط، والدراسة للقضايا الكبيرة والأمور الجزئية، والدقة في الحركة والتنفيذ.

٤. الهِجرة سلوكٌ واجب ومستمرٌّ، علينا أن نباشِرَه ونمارسَه على كلِّ المستويات وفي جميعِ الأوقات.

وأهم التوصيات: التوصية بالربط الدائم بين الجوانب النظرية في البحوث والدراسات والأوراق العلمية وبين الجوانب العملية التطبيقية من خلال مبادرات ومشروعات تجمع بين الجوانب العلمية والعملية مع استخدام خصائص وفوائد التقنيات الحاسوبية وبرامج التواصل الاجتماعي.

الكلمات الدلالية:

الاستشراف- منهجية- مهارات- أرجحية.

Research Summary

The research seeks to improve and correct the state of the nation and the rise in moral and social level through the study of the Prophet's biography in an application that is intended to reflect the full Islamic truth in the ideals of Muhammad ﷺ, Through his migration ﷺ, The research aims to link planning and ethics and how ethics was a reason for the success of planning with the application of the stages of migration and men, Through Quranic verses, it bears witness that the perfection of the Prophet's ethics is a reason for his good planning and management, And the ethics of his companions and what they have done to him by linking the verses of the Qur'aan and Sunnah, The importance of research is to highlight the nation's need to explore the future and sound planning for its present and future, and to give hope for a better future through the contemporary science of planning, And devising the origins of these sciences from the Holy Quran and the Sunnah of the Messenger of Allah and linking them to the reality of people, And adopted the method of inductive reasoning and description and comparison, And sometimes the analytical approach, The research was combined with an explanatory tone along with the prophetic biography, When mentioning the steps of the planning and its stages, objectives and importance, the viewer mentioned migration in parentheses by reference to the event without elaboration, It is not intended to recount migration events, But to draw from them, The most important research results, 1. Islam in particular has bridged the gap between theory, practice and migration as a living model that we have lived up to today, 2. Continue to explain the biography of the Prophet on the curriculum of the Koran, which cut us the path of the prophets, 3. The facts of migration all emphasize the need for planning, study of large issues and partial matters, and accuracy in movement and implementation, 4. Migration is an ongoing and obligatory behavior that we must pursue and practice at all levels, at all times, The most important recommendations are: Recommending the permanent linkage between the theoretical aspects in research, studies and scientific papers and the practical aspects of the application through initiatives and projects that combine the scientific and practical aspects with the use of the characteristics and benefits of computer technologies and social communication programs.

المقدمة

الحمد لله وكفى، أحمده سبحانه وأشكره على ما أنعم وأوفى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له إذا وعَد وفى، وإذا أوعَد عفا، وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمدًا عبد الله ورسوله النبي المجتبى والرسول المصطفى، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أهل البر والصدق والوفا، والتابعين ومن تبعهم بإحسان وسار على نهجهم واقتفى.

صلى عليه الله وسلم تسليمًا كثيرًا، أما بعد:

إن الهجرة معلم من معالم الدين الحنيف تأسست على خطاها دولة العدل والعلم والرقي؛ لتصبح منارة الدنيا، ولتهدي البشرية خلاصًا من متاهات الشك والحيرة والقلق، ولتأخذ بأيديهم إلى ربوة الفضيلة والقيم والمثل العليا ليشع ضياها فيشرق الكون بنورها؛ ولهذا أرَّخ الفاروق رضي الله عنه بها وكان في ذلك مُلهمًا رضي الله عنه وأرضاه.

وقد أفاد السهيلي في الروض[1] أن الصحابة رضي الله عنهم أخذوا التأريخ بالهجرة من قوله تعالى:

﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ﴾ سورة التوبة-١٠٨، فكأنَّ اليوم الذي وصل فيه النبي صلى الله عليه وسلم -سالمًا- إلى قباء جديرٌ بأن يكون اليوم الأول عند المسلمين؛ لأنه الثمرة الكبرى التي حققتها الدعوة في مكة.

وقد سُمِّيت الهِجرة نصرًا رغم أنَّه لم تَسِلْ قطرةٌ من الدم، ولم تلتقِ فيها السيوف ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾ سورة التوبة- ٤٠، وهذا اتِّساعٌ لأُفق النَّصر في حياة أهل التوحيد والعقيدة، فالثباتُ على المبدأ نصْر، والالتزامُ بالحقِّ نصر، والوصول للأهداف -سواء مرحليَّة أو كُليَّة- نصر، في الهِجرة تَحقَّق النصر، لأقلِّ جيش {ٱثْنَيْنِ} في مكانٍ ضيِّق {ٱلْغَارِ}، ﴿بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾، لا عَدد ولا عتاد، إنَّما كانتِ القوَّة في الثِّقة بالله، والثباتِ على مبادئ الدعوة والدِّين، والتضحية في سبيلِ الله، ومِن ثَمَّ ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ

(١) عبد الرحمن السهيلي، **الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، ط١**، (٢/٢٤٦).

كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾سورة التوبة- ٤٠، شاء مَن شاء، وأبَى مَن أبَى.

ومع قدرة الله على نصرة نبيه دون هجرة إلا أنه أمره بالهجرة ولم يأمره في هذه المرحلة بالقتال، إنها الحكمة الإلهية، فهذا التوجيه الإلهي هو في الحقيقة تشريع، وهو أنَّ الله عز وجل لا يقبل -بالتعبير المعاصر- حربًا أهلية.

ذكر حَبر الأمة عبد الله بن عباس: كان مشركو أهل مكة يؤذون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول لهم: (اصبروا؛ فإني لم أؤمر بالقتال)[1].

وقد نزل قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ سورة النساء- ٧٧ في مكة، والبيت الواحد فيه مؤمن وفيه مشرك، فلو سمح بالقتال في مكة لكانت هذه الحرب حربًا أهلية، ولأحرقت الأخضر واليابس؛ قال الله عز وجل:﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ سورة الأنعام- ٦٥.

فلمَّا هاجر صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، واستقر المسلمون، وكان لهم كيان وقيادة وأتباع، عندئذٍ نزل قوله تعالى:﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ سورة الحج- ٣٩، وهذه أول آيات القتال.

ولم يكن الخروج والهجرة النبوية لمجرد السلامة، ولكنه التحفز لمرحلة جديدة من مراحل الدعوة الإسلامية، انتقال من مشقة إلى مشقة، ومن جهاد إلى جهاد، إنها ليست هربًا من الجهاد ولكنها إعداد له.

(١) لم أقف عليه إلا في كتب التفسير، رواه الطبري في تفسيره برقم (٩٩٥٣)، والثعلبي في الكشف والبيان (٢٥/٧)، تفسير البغوي (٣/ ٣٤٣)، والزمخشري (٣/ ١٦٠)، وأبو حيان (٧/ ٥١٥). قال ابن حجر: منتزعٌ من أحاديث. وقال الزيلعي: غريبٌ جدًّا.

إن هجرة المسلمين كانت بوحي من الله، وكانت الأسباب من صنعهم وبرغبتهم وتطلعهم إلى ثواب الله، أي أنها كانت تخطيطا وتدبيرا مُحكمًا لا يعفى فيه المسلمون من الجد والتخطيط اتكالًا على نصر يتقاطر عليهم من السماء، من المعروف أن التخطيط ضرورة ملحة تستلزمها المشكلات المعاصرة الذاتية والموضوعية، ولا يمكن أن تحقق أي دولة تنمية شاملة في جميع الميادين إلا بانتهاج أسلوب التخطيط ووضع التصاميم من أجل تحقيق الأهداف والغايات.

لم يكن هنالك مبرر للمكث ثلاثة عشر عامًا في هذا الجو من الكفر والاضطهاد، إلا أنه تمهيد للمؤمنين بقيادة النبي ﷺ لإقامة مجتمع جديد في بلد آمن، فنجحوا في بناء مدينة تأتي دونها في الوصف المدينة الفاضلة التي يعشقها الفلاسفة وتخيلوا فيها الكمال وأثبتوا أن الإيمان الناضج يحيل البشر إلى خلائق تباهي الملائكة سناء ونضارة.

إن المسلمين الذين هاجروا كانوا دعاةَ توحيد لله وإصلاح للأرض، يحيون وفق المنهج الذي ارتضاه الله لهم، فترفعت عن المآرب هممهم، وأخلصوا لله طواياهم، وذهلوا عن متاع الدنيا، واستهوتهم مُثُلٌ عُليا لا مثيل لها في الأولين والآخرين.

فلم تكن الغاية لديهم تبرر الوسيلة، بل لا بد للهدف النبيل من وسيلة نبيلة، الوسيلة من جنس الهدف، أما عند الأعداء فالهدف يبرر الوسيلة، الغاية تبرر الوسيلة، فقد جمعوا بين الأخذ بالأسباب المادية (التخطيط)، وبين حسن الاتصال بخالق هذه الأسباب وموجدها والآمر بالأخذ بها (الأخلاق).

أسباب اختيار الموضوع:

ليس الغرض من دراسة السيرة النبوية مجرد الوقوف على الوقائع التاريخية، بل دراسة السيرة النبوية ليست سوى عمل تطبيقي يراد منه تجسيد الحقيقة الإسلامية كاملة فى مثلها الأعلى محمد ﷺ.

فرسول الله صلى الله عليه وسلم هو مشرع، أي أن جميع تصرفاته المتعلقة بالدين تعتبر تشريعًا لنا؛ ولذلك كانت سنته هى المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي –مجموع أقواله وأفعاله وصفاته وتقريراته–، لذلك كانت هجرته محل نظر وتحليل لما تضمنته من دروس وعِبَرٍ

عَبْرَ التاريخ تتجدد كل عام لعلاقتها المباشرة أولًا بالقدوة محمد رسول الله، ولحاجة الأمة المتجددة لتحسين وتصحيح أوضاع الأمة والارتفاع بمستواها الأخلاقي والاجتماعي، لذلك نجد رسول الله هاجر متخفيًا وليس جهارًا كما فعل عمر بن الخطاب، فلو أنه فعل ذلك لحسب الناس أن هذا هو الواجب، وأنه لا يجوز أخذ الحيطة والحذر، والتخفي عند الخوف، والله عز وجل أقام شريعته فى هذه الدنيا على مقتضى الأسباب والمسببات، وإن كان الواقع الذى لا شك فيه أن ذلك بتسبيب الله تعالى وإرادته، لأجل ذلك استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم كل الأسباب المادية التى يهتدي إليها العقل البشري فى مثل هذا العمل، حتى لم يترك وسيلة من هذه الوسائل إلا اعتد بها واستعملها من الاحتياطات المادية التى قد يفكر بها العقل؛ ليوضح بذلك أن الإيمان بالله عز وجل لا ينافي استعمال الأسباب المادية التى أرادت حكمة الله تعالى أن تكون أسبابًا.

فعندما ندرس الهجرة النبوية وهي جزء مهم من السيرة النبوية المطهرة، نكون بصدد دراسة سيرة خير نبي اصطفاه الله، وندرس سيرة خير أمة أخرجت للناس، وندرس سيرة خير رسالة أنزلت للناس، ودراستها قبل كل شيء عبادة، يقول تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ ﴾ سورة الأحزاب- ٢١، فالأمة الإسلامية مأمورة بالاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم، ولن تتمكن من التأسي به ما لم تفقه سيرته وتدرسها وتتعرف عليها.

مشكلة البحث:

في كل بداية عام هجري جديد تطالعنا المقالات والموضوعات حول هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما فيها من الدروس والعبر حتى أصبحت متشابهة ومستنسخة ليس فيها إضافة أو استنباط يخدم مشاكل العصر أو يوجد لها حلولًا، أو يكشف الخلل الحاصل ويعالجه بتطبيق هذه الدروس على واقع الأمة ومشاكلها الحالية.

وتتلخص مشكلة الدراسة في الإجابة عن التساؤلات التالية:

١. ما الذي تقدمه دروس الهجرة لواقعنا المعاصر من حلول.

٢. هل هناك خلل في تطبيق دروس الهجرة يجعل واقعنا لا يتغير رغم محاولات الإصلاح والتغيير.

٣. هل هناك جديد يمكن أن نستخلصه من دروس الهجرة النبوية.

أهمية البحث وأهدافه:

اعتنى علماء السيرة النبوية الشريفة قديمًا وحديثًا بتتبع معالم الهجرة النبوية الشريفة بأساليب متعددة، بل إن كثيرًا من الكتاب والباحثين غير المسلمين أيضًا اهتموا بالدراسة والبحث في هذا الموضوع. والمتتبع لما كتب في السيرة النبوية يلاحظ أن المواضيع تتفاوت في حجمها وتفصيلاتها حسب أهميتها من منظور كل كاتب، لكن لا يخلو أي من هذه المؤلفات من الحديث عن أمر الهجرة النبوية؛ من جهة التخطيط أو من جهة أخلاقيات الهجرة، أو دور الشباب في الهجرة، وقد قام بعض الكتاب بإفراد مؤلفات خاصة بكل جانب من هذه الجوانب من حيث أسبابها وأهدافها وما حققته من نتائج، أو جمعها في مؤلف واحد دون الربط بينها أو جعل أحدها سببًا لتحقق ونجاح الآخر.

وهذا ما أسعى إليه في هذا البحث، من الربط بين التخطيط والأخلاق، وكيف كانت الأخلاق سببًا لنجاح التخطيط، مع تطبيق ذلك على مراحل الهجرة ورجالاتها، من خلال آيات قرآنية شاهدة على أن كمال أخلاق النبي ﷺ سبب لحسن تخطيطه وتدبيره، وأخلاق أصحابه وما رباهم عليه ﷺ وكيف كانت من أسباب نجاح التخطيط للهجرة وذلك بالربط بين آيات الكتاب والسنة.

وبذلك تظهر أهمية البحث وتتلخص أهدافه بالآتي:

١. إبراز حاجة المسلمين والعالم أجمع إلى سيرة خير البشر، وهي حاجة ليست دينية فقط بل هي حاجة علمية وأخلاقية وحضارية.

٢. ربط القلوب بصاحب السيرة العطرة محمد صلى الله عليه وسلم، فمن دواعي وأسباب

تحقيق محبته دراسة سيرته ومواقفه وحياته كلها، فمحبته من موجبات الإيمان، يقول النبي صلى الله عليه وسلم : "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين"(١).

٣. تقديم قدوة عملية خالدة للأجيال المسلمة على مر العصور من خلال حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته، والمطالبة بالاقتداء بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم تستوجب دراسةَ مسيرة حياته بكل دقائقها وتفاصيلها للتأسي بها في كل موقف من مواقف الحياة المعاصرة.

٤. التاريخ يعيد نفسه، ومشكلات الإنسان تكاد تكون متكررة لا تتغير على وجه الحقيقة، ويجب حلها في ضوء ما تم حلها به سابقا، قال الإمام مالك: (لا يصلح أمر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها)، ودراسة السيرة النبوية تعمق الثقة بإمكانية تطبيق النصوص على الواقع حال الالتزام بالمنهج.

٥. إبراز حاجة الأمة لاستشراف(٢) المستقبل والتخطيط السليم لحاضرها، ومستقبلها وما في ذلك من إعطاء الأمل بمستقبل أفضل.

٦. الربط بين آيات القرآن الكريم والسيرة النبوية التي جاء القرآن الكريم شاهدًا ومؤكدا على كثير من أحداثها، ومبينا ومفصلا لكثير من صفات وأخلاق الرسول ﷺ.

٧. ربط التفسير بالسنة عبر هذه المشاريع البحثية من خلال استنباط أصول هذه العلوم المعاصرة من القرآن الكريم وسنة رسول الله وربطها بواقع الناس.

تساؤلات الدراسة:

١. هل استخدم رسول الله ﷺ أسس التخطيط المعروفة في العلم الحديث؟

٢. هل لعلم التخطيط أصل في القرآن الكريم؟

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب **الإيمان**، باب حب الرسول ﷺ، (١ / ١٢)، رقم ١٥.

(٢) سلوك يتطلب معرفة ومهارة ويستلزم عزيمة وإرادة، ويهدف إلى جلب خير أو دفع ضر، عبر أنشطة ذهنية معينة، وهو اجتهاد قد يصيب وقد يخطأ عبر وسائل شرعية، انظر : **أهمية استشراف المستقبل وضوابطه**، البشير، محمد، دبي، ٢٠١١، ص٤٢.

٣. هل كان للأخلاق دور في نجاح هذا التخطيط؟

٤. ما علاقة الأخلاق بالتخطيط؟ وهل له أصل في القرآن الكريم؟

٥. هل يمكن تطبيق ذلك على الواقع لإصلاح الخلل الذي أصاب الأمة؟

منهج الدراسة:

اتخذت المنهج الاستقرائي الاستنباطي[١] والوصف والمقارنة، وأحيانا المنهج التحليلي، وجمعت للبحث الصبغة التفسيرية جنبًا إلى جنب مع السيرة النبوية، وقد حرصت في الاستدلال بآيات القرآن الكريم على المعاني الواضحة البينة وفي حدود ما ذهب إليه مشاهير المفسرين، وعند ذكر خطوات التخطيط ومراحله وأهدافه وأهميته من خلال أسسه العلمية المعاصرة ذكرت شاهدها من الهجرة بين قوسين بالإشارة للحدث دون تفصيل فيه، فليس المقصود سرد أحداث الهجرة، بل تطبيقها على أحداث الهجرة لنستنبط منها ونطبق على أرض الواقع.

الدراسات السابقة:

لم أقف على بحث ربط نجاح التخطيط بالأخلاق، أو ربط دلالة ذلك من القرآن الكريم، وإن كانت هناك بحوث ومؤلفات قد أفردت كلا الجانبين (التخطيط، والأخلاق) بالبحث والدراسة، ومن هذه الدراسات:

١. د. مصطفى سي يعقوب، **منهج النبي ﷺ في أخلاقه**، من أبحاث المؤتمر الدولي نبي الرحمة محمد ﷺ، م٢٠١٠-١٤٣١هـ.

تحدث فيه عن الفرق بين أصول أخلاقه ﷺ التي هي مدار رسالته وبين أخلاقه التي هي في خدمة تلك الأصول، ومنهجه ﷺ في نشر الأخلاق، وأن منهجه في ذلك كان يقوم على القدوة الحسنة فقد كان الأمثل الأعلى لأمته في الأخلاق.

٢. أحمد عبد العزيز قاسم الحداد، **أخلاق النبي ﷺ في الكتاب والسنة (دراسة تطبيقية**

(١) الاستقرائي الاستنباطي: منهج منقول من العلوم الطبيعية إلى الإنسانية، ويقوم على التتبع والانتقال من الجزئيات إلى الكليات، والاستنباطي يناسب العلوم الطبيعية أكثر، والاستقرائي أنسب للإنسانية مع تقارب المعنى، (المفتي، محمد أمين، **مجلة المناهج وطرق التدريس**، ع١١٤، ٢٠٠٦م.)

لقول عائشة رضي الله عنها": كان خلقه القرآن")، رسالة دكتوراه مقدمة لجامعة أم القرى، قسم الكتاب والسنة، ١٤١٣هـ.

تحدث فيه عن الأخلاق القرآنية وتطبيقها على أخلاق النبي ﷺ من خلال سيرته في جوانبه المختلفة التعبدية والسلوكية والاجتماعية وغيرها.

٣. د. حاتم فزع شنيتر، **نماذج من استشراف المستقبل في السيرة النبوية**، الجامعة العراقية، كلية الآداب.

٤. تحدث فيه عن الاستشراف الناجح الذي يقوم على تحديد الأهداف الحالية والمستقبلية وكيفية تحقيقها على ضوء الإمكانات المتوفرة بعيدًا عن الارتجال والتواكل. واستشهد بنماذج من سيرة النبي ﷺ ومنها مايتعلق بالهجرة.

٥. د. صالح إبراهيم، محمد ﷺ لماذا هو الأعظم؟ الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، السعودية، ط١، ٢٠٠٧-١٤٢٧.

وهو كتاب تحدث فيه عن اختيار شخصية الرسول الشخصية الأعظم تأثيرًا في التاريخ، وتناول أسباب ذلك من عدة جوانب ما يهمنا فيها هو جانب التخطيط.

هيكل البحث:

وقد تم تقسيم البحث إلى : مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول:

المقدمة: اشتملت على: سبب اختيار الموضوع، وأهميته وأهم أهدافه، ومشكلة البحث، والدراسات السابقة.

التمهيد: واشتمل على تعريف بمفردات عنوان البحث:

- أولًا: تعريف الهجرة.
- ثانيًا: تعريف التخطيط.
- ثالثًا: تعريف الأخلاق.

الفصل الأول: منهجية التخطيط (تطبيق على خطة الهجرة النبوية).

- المبحث الأول: مهارات التخطيط الحديثة.

- المبحث الثاني: الهجرة نموذج للتخطيط عالي الدقة.
- المبحث الثالث: أرجحية عقل الرسول ﷺ على سائر العقول (وما أنت بنعمة ربك بمجنون).

الفصل الثاني: منظومة الأخلاق (تطبيق على أخلاقيات الهجرة النبوية).

- المبحث الأول: أخلاقيات الهجرة النبوية.
- المبحث الثاني: التشريع والأخلاق.
- المبحث الثالث: محمد ﷺ المثل الأكمل في الخُلق (وإنك لعلى خلق عظيم).
- **الفصل الثالث: علاقة الأخلاق بالتخطيط (الغاية النبيلة لا تتحقق إلا بالوسيلة النبيلة).**

الخاتمة والنتائج والمراجع.

التمهيد

أولًا: تعريف الهجرة:

الهجرة لغة: اسمٌ من هجر يهجُر هَجْرًا وهِجرانًا[١].

قال ابن فارس: "الهاء والجيم والراء أصلان، يدل أحدهما على قطيعة وقطع، والآخر على شد شيء وربطه. فالأول الهَجْر: ضد الوصل، وكذلك الهِجْران، وهاجر القوم من دار إلى دار: تركوا الأولى للثانية، كما فعل المهاجرون حين هاجروا من مكة إلى المدينة"[٢].

وضبط ابن منظور- أيضًا- التي بمعنى الخروج من أرض إلى أرض بضم الهاء: الهُجْرة[٣].

الهجرة شرعًا:

عرَّفها غير واحد بأنها ترك دار الكفر والخروج منها إلى دار الإسلام[٤].

وأعم منه ما قاله الحافظ ابن حجر: "الهجرة في الشرع ترك ما نهى الله عنه"[٥]، وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم: ((المهاجر: مَن هجر ما نهى الله عنه))[٦]، وهي تشمل الهجرة الباطنة والهجرة الظاهرة، فأما الهجرة الباطنة فهي ترك ما تدعو إليه النفس الأمارة بالسوء وما يزينه الشيطان، وأما الظاهرة فهي الفرار بالدين من الفتن[٧]، والأولى أصل للثانية.

ولما كانت الثانية أعظم أمارات الأولى وأكمل نتائجها خص بعض العلماء التعريف بها كما تقدم. ثم لما كانت هجرته صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة أشرف الهجرات

(١) ابن منظور، **لسان العرب**، ط٣، مادة (هجر)، (٤٦١٦/٨).

(٢) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، (٣٤/٦).

(٣) ابن منظور، **لسان العرب**، ط٣، مادة (هجر)، (٤٦١٧/٨).

(٤) انظر : التعريفات للجرجاني (٢٥٦)، والمفردات للراغب (٥٣٧)، وجامع العلوم والحكم لابن رجب (٧٢/١-٧٣).

(٥) ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (١٦/١).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، **كتاب الإيمان**، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، (٥٣/١)، رقم ١٠.

(٧) ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (٥٤/١).

وأشهرها انصرف اللفظ عند الإطلاق إليها.

وأما لفظ الهجرتين فهو عند الإطلاق يراد به الهجرة إلى الحبشة والهجرة إلى المدينة[٨].

والهجرة النبوية هي هجرة سيدنا محمد عليه السلام من مكَّة المكرَّمة –الأرض التي ولد ونشأ وتربَّى فيها– إلى المدينة (يثرب)، والتي ترافق معها بدء التوقيت الهجري للمسلمين.

ثانيًا : تعريف التخطيط:

هو عبارة عن عملية تَهتمُّ بإعداد الخُطط الخاصَّة بشيءٍ معين[١].

ويُعرَّف التخطيط: بأنَّه صياغة فَرضيَّاتٍ حول وضع مُعيَّن، ويعتمد على استخدام تفكير دقيق؛ بهدف اتخاذ القرار المناسب حول تطبيق سلوكٍ ما في المستقبل[٢].

ومن التعريفات الأخرى للتخطيط: هو نَشاطٌ يُطبقه كافة الأفراد في أغلب الشؤون العامة، ويَعتمدُ على إعداد خُطَّةٍ ذهنيَّة قبل تحويلها إلى خُطَّةٍ حقيقيَّة، أي الحِرص على التفكير قبل المباشرة بالعمل[٣].

ويمكننا تعريف التخطيط عموما بأنه: رسم الصورة المستقبلية للمجتمع وذلك من خلال تحديد العمل الذي ينبغي اتباعه لتحقيق أهداف معينة في فترة زمنية معينة.

والتخطيط هو معرفة شاملة بالظواهر، ثم استشراف للمستقبل، وإعداد للإمكانيات والقدرات لتطويق الظواهر التي تثير المشاكل والصعوبات.

وعلى العموم فهذا التنبؤ والاستشراف"ليس مقصودًا لمجرد التنبؤ أو التوجيه العام، بل ليمكننا من تغيير مجرى الحوادث وتسييرها تسييرًا ملائمًا للأهداف التي نرجوها، المعرفة والتنبؤ

(٨) ابن منظور، **لسان العرب**، ط٣، (٤٦١٧/٨).

(١) "planning", Oxford Dictionaries, Retrieved 4-6-2017. Edited

(٢) إبراهيم المطوع (١٤٣٠– ١٤٣١هـ)، **التخطيط والتخطيط التربوي وأنواعه**، المملكة العربية السعودية، جامعة الملك سعود، صفحة ٢. بتصرُّف.

(٣) أ. ساحلي مبروك، **مناهج وتقنيات الدراسات المستقبلية وتطبيقاتها في التخطيط**، الجزائر، جامعة أم البواقي، صفحة ٢. بتصرُّف.

ههنا لا بد أن يتلوهما تشكيل جديد للظروف وللأحوال بحيث تستطيع هذه الظروف الجديدة أن تبلغنا الهدف المنشود.

تعريف الأخلاق:

لغة: الخُلُق في لغة العرب: هو الطَّبْع والسجيَّة، وقيل: المروءة والدِّين، قال العلامة ابن فارس: "الخاء واللام والقاف أصلان: أحدهما تقدير الشيء، والآخر ملامسة الشيء.

فأما الأول، فقولهم: خَلَقتُ الأديمَ للسقاء، إذا قدَّرتَه، ومن ذلك: الخُلُق وهي السجية؛ لأن صاحبه قد قُدِّر عليه(٤).

وقال الفيروزآبادي: "الخُلق: بالضمِّ، وبضمتين: السجية والطَّبع، والمروءة والدين(٥).

وشرعًا: عند النظر والاستقراء لنصوص الشارع تجد أن الاستخدامَ الشرعي للفظ "الخُلُق" لم يختلف كثيرًا عن الوضع اللغوي لهذه الكلمة فقد جاءت كلمة الخُلُق في القرآن في موضعين:

الأول: قوله تعالى على لسان قوم هود: ﴿ إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴾ الشعراء- ١٣٧.

"أي: ما هذا الذي جئتنا به إلا عادة الأولين يُلفِّقون مِثْلَه ويدعون إليه، أو ما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت إلا عادة قديمة لم يزل الناس عليها، أو ما هذا الذي نحن عليه من الدين إلا عادة الأولين الذين تقدَّمونا من الآباء وغيرهم"(١).

فخُلُق الأولين هنا بمعنى دِينهم وعادتهم وأخلاقهم ومذهبهم، وهذا مرويٌّ عن ابن عباس رضي الله عنه وقتادة(٢) والفرَّاء وابن الأعرابي ومحمد بن يزيد وغيرهم(٣).

الثاني: قوله -جلَّ وعلا- مخاطبًا سيد الخَلْق محمدًا صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ القلم- ٤.

---

(٤) ابن فارس، **معجم المقاييس في اللغة**، ط١، (٣٢٩).

(٥) الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، (٧٩٣).

(١) الألوسي، **روح المعاني**، (١١/ ١٦٧).

(٢) الطبري، **جامع البيان**، (١١/ ١١٩).

(٣) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (١٣/ ١٢٥، ١٢٦).

قال الطبري: "يقول -تعالى ذِكْره- لنبيِّه محمد صلى الله عليه وسلم: وإنك يا محمد، لعلى أدب عظيم، وذلك أدب القرآن الذي أدَّبه به، وهو الإسلام وشرائعه، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل".

ثم نقَل عن ابن عباس ومجاهد وابن زيد والضحاك قولهم في تفسير: ﴿ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾؛ أي: دين عظيم، وهو الإسلام(٤).

وقال الماوردي: أي إنك على طَبْع كريم(٥).

أما في السُّنَّة المطهَّرة، فقد استخدمت لفظة الخُلُق كثيرًا: ومن ذلك قول عائشة رضي الله عنها في وصْف خُلُق الرسول صلى الله عليه وسلم: ((كان خُلُقه القرآن))(٦) أي: متمسِّكًا بالقرآن وبآدابه، وأوامره ونواهيه، وما يَشتمِل عليه من المكارم والمحاسن والألطاف(٧).

وهذه المعاني في حقيقتها لا تُخالِف الوضعَ اللُّغوي لكلمة الخُلُق، وإن صُبِغت بمعنى شرعي حين يعبِّر حُسْن الخُلُق عن الالتزام بالآداب الشرعية الصادرة عن الأحكام القرآنية والتعاليم النبوية خاصة.

الأخلاق في الاصطلاح:

في الاصطلاح تُطلَق الأخلاق باعتبارين: أحدهما عام، والآخر أخص منه:

فمن العام ما ذكره الغزالي حين عرَّف الخُلُقَ بقوله: "الخُلُق عبارة عن هيئة في النفس راسخة، عنها تَصدُر الأفعال بسهولة ويُسرٍ من غير حاجة إلى فِكْر وروِيَّة"(٨).

وبهذا الإطلاق يشمل الخُلُق الحسن والقبيح، والمحمود والمذموم، وإن كان يَغلِب إذا أُطلِق

(٤) انظر: تفسير الطبري، (٢٩/ ٢٤، ٢٥)، وتفسير القرطبي، (١٨/ ٢٧٧).

(٥) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (١٨/ ٢٢٧).

(٦) مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث عائشة رضى الله تعالى عنها، (٦/٩١)، ح(٢٤٦٤٥) تعليق شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.

(٧) انظر : **لسان العرب**، (١٠/ ٨٧)، **وجامع العلوم والحكم**، لابن رجب، (٢/ ٩٩).

(٨) الغزالي، **إحياء علوم الدين**، (٣/ ٤٧).

عن التقييد إلى الخُلُق الحسن.

أما الإطلاق الأخص لكلمة الخُلُق في الاصطلاح، فيُطلَق على التمسُّك بأحكام الشرع وآدابه فعلًا وتركًا، ومن ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((البِرُّ حُسْن الخُلُق))[١].

وقول عائشة رضي الله عنها في تفسير قول الله عز وجل: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ القلم-٤: "كان خُلُقه القرآن"[٢].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، **كتاب البر والصلة والآداب**، باب تفسير البر والإثم، (٤/١٩٨٠)، رقم ٢٥٥٣.

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث عائشة رضي الله تعالى عنها، (٦/٩١)، ح(٢٤٦٤٥) تعليق شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.

الفصل الأول: منهجية التخطيط (تطبيق على خطة الهجرة النبوية)

المبحث الأول: مهارات التخطيط الحديثة

مبادئ التخطيط:

يَعتمد تطبيق التخطيط في بيئة العمل على مَبادئ أساسيّة، وهي[١]:

*الهدف: هو من المتطلبات المهمة لتطبيق تخطيطٍ فعَّال؛ حيث تَعتمدُ عمليَّة التخطيط على وضع هدفٍ مُحدَّد (الهجرة بدين الله إلى المدينة)، ومُرتبط مع سبب وجود المنشأة (الحفاظ على دين الله وإقامة دولة تحكم بشرع الله)، كما من المهم أن يكون هذا الهدف مَفهومًا وواضحًا عند كافَّة الأفراد الذين يَعملون في المنشأة (هجرة صحابة رسول الله وتضحياتهم في سبيل ذلك).

*الفلسفة: هي كافَّة المعتقدات والأفكار الخاصَّة بالطريقة المستخدمة في الوصولِ إلى الهدف من التخطيط (منهم من هاجر خفية ومنهم من ترك ماله وولده، ومنهم من هاجر جهارًا كعمر رضي الله عنه).

*تطبيق سياسة مُعيَّنة: هي الوَسيلة المستخدمة في التوجيه والتحكُّم بالموظفين، وتُشكِّل هذه السياسة مجموعة من المبادئ التي تدعم العمل والتفكير الإداري، ومن الأمثلة عليها سياسة الإنتاج، وسياسة التسويق، وسياسة شؤون الموظَّفين، والسياسة الماليَّة (مخاطبة الوفود بمكة- إرسال سفير للمدينة- إرسال الصحابة للمدينة لإقامة تجمع إسلامي يمهد لقيام الدولة).

*الخُطط: هي مجموعةٌ من بيانات وأهداف العمل العامة (إقامة دين الله في مدينة فاضلة)؛ حيث تُشكِّل هذه الأهداف الهدف الخاص بالمنشأة (الهجرة بدين الله)، أمَّا بيانات العمل فهي الوسائل المستخدمة في تحقيق الأهداف (الدعوة سرًّا- البحث عن مكان آمن- هجرة الصحابة إلى الحبشة).

*الأولويات: هي دور المنشأة في تخصيص الموارد الماديَّة والماليَّة، والعُمَّال والموظَّفين بناءً

(١) Venkatesh, "Planning: Meaning, Nature, Reasons and Other Details", Your Article Library, Retrieved 4-6-2017. Edited.

على أولويَّاتٍ مُعيَّنة (اتخاذ أبي بكر صاحبًا للهجرة- تجهيز الراحلتين- اتخاذ غير المسلم دليلا)، وتستند هذه الأولويَّات على فلسفة المنشأة، وكلٍّ من البيئات الاجتماعيَّة، والسياسيَّة، والاقتصاديَّة.

أهداف التخطيط:

يُعدُّ التخطيط من الوسائل التي تسعى إلى تحقيق العديد من الأهداف، ومنها[٢]:

- تطوير العمليَّة الإنتاجيَّة في مُختلف النشاطات والقطاعات من حيث النوعيَّة والكميَّة (نشر دين الله-دعوة الملوك والقبائل- استقبال وفود القبائل- تجهيز الجيوش).
- تحقيق التوازن بين المستويات الخاصَّة بالتطوُّر الاجتماعي والاقتصادي (إقامة مجتمع إسلامي متكافل-وضع تشريعات اجتماعية واقتصادية وسياسية).
- تحسين كفاءة العمل في كافة القطاعات، وخُصوصًا المعتمِدة على تقديم الخدمات المتنوعة، والتي تُساهم بتحقيق المنفعة العامَّة (لما انتقل الصحابة الكرام إلى المدينة حيث الأمن والسلام والهدوء نمت قدراتهم، وازدادت نشاطاتهم، وأقبلوا على ربهم فنمت الدعوة وانتشرت).

فوائد التخطيط:

يُحقق التخطيط مجموعةً من الفوائد، وهي[١]:

- يساهم في الوصول إلى الأهداف المطلوبة (هجرة غالبية المسلمين إلى المدينة).
- يساعد على دعم التنسيق بين كافَّة أنواع الأعمال (البيعة الثانية- إرسال سفير للتأسيس للدين- هجرة الصحابة تِباعًا لتشكيل قوة داعمة بالمدينة).
- يُشارك في دعم نموّ وتطوُّر المهارات الخاصَّة بالمديرين (علي بن أبي طالب نموذجًا).
- يساهم في تحقيق أفضل استثمار للموارد البشريَّة والماديَّة (آل بيت أبي بكر الصديق

(٢) عادل بركان (٢٠١٠ - ٢٠١١)، **واقع التخطيط في المنشآت الرياضية**، الجزائر، المركز الجامعي محمد الشريف مساعدية- سوق أهراس، ص ٣٣، ٣٤، ٣٦،. بتصرُّف.

(١) عادل بركان (٢٠١٠ - ٢٠١١)، **واقع التخطيط في المنشآت الرياضية**، الجزائر: المركز الجامعي محمد الشريف مساعدية- سوق أهراس، ص (٤٣ - ٤٦). بتصرُّف.

نموذجًا).

- يَدعم التخطيط تكيُّف الإدارة مع العوامل الخاصَّة بالمحيط الخارجي (مبادرة الرسول للهجرة عند تآمر قريش على قتله).

أنواع التخطيط:

يُصنف التخطيط إلى أنواعٍ عديدة بالاعتماد على تصنيفات مختلفة منها ما هو:

وفقًا للمُدَّة الزمنيَّة، وتشمل الأنواع الآتية:

- التخطيط طويل الأجل: يَشمل فترة زمنيَّة طويلة، وتُعادل خمس سنوات وما فوق، (إعداد رجال ونساء قادرين على حماية الدين والدعوة إليه ثلاث عشر سنة بمكة).
- التخطيط متوسط الأجل: يشمل فترةً مُتوسِّطةً من الزمن، وتزداد عن السنة الواحدة وتقلُّ عن خمس سنوات (بيعتا العقبة الأولى والثانية).
- التخطيط قصير الأجل: يشمل فترةً زمنيَّةً قصيرة، وتكون أقلَّ من سنة مثل الأيَّام والأسابيع والشهور (المكوث بالغار ثلاثة أيام).

وهذه المدد الزمنية خاصة بخطة الهجرة، وقد كانت الهجرة النبوية جزء من الخطط الاستراتيجية للوصول الى الهدف العام الذي ذكرناه سابقًا وهو إقامة دولة إسلامية تحكم بشرع الله، والذي استبقها خطة إعداد من ستقوم عليهم الدولة من رجال ونساء، فهذه ثلاث خطط كانت لتحقيق الهدف العام، والهجرة كانت جزء منها، ثم تلاها خطة تأسيس الدولة بالمدينة.

المبحث الثاني: الهجرة نموذج للتخطيط عالي الدقة

إذا استعرضنا العناصرَ المكونة للتخطيط -الذي أضحى أهمَّ علوم الحضارة المعاصرة- وهي:

- تحديد الهدف أو الأهداف المبتغاة.
- إعداد وتنظيم الوسائل اللازمة لتحقيق تلك الأهداف.
- رسم أسلوب التنفيذ.
- محاولة التنبؤ بالمستقبل للسيطرة -ما أمكن- على مسار الأحداث بما يكفل الوصول إلى النتائج.

إذا استعرضنا هذه العناصرَ الأربعة، تبيَّنَّا أن الهجرة عمل قام على أساسٍ من التخطيط، وما يتطلبه من تدبير وإحكام وبُعد نظر، فلقد حدَّد النبي الكريم هدفَه من الهجرة، وكان الأسلوب الذي اتَّبعه في رحلته كفيلًا بتحقيق هذا الهدف، فقد أعدَّ من الوسائل البشرية والمادية ما يلائم الظروفَ القائمة، ويتفق مع الظروف المحتملة، ونظَّم هذه الوسائلَ تنظيمًا محكمًا، ثم نفذها بأسلوب واقعي سديد، فنجحت خطتُه، وأدرك غايتَه.

تحديد الهدف:

أما الهدف فكان مغادرةَ الرسول صلى الله عليه وسلم وأبي بكر معه مكة؛ ليستكمل النبي رسالته في أرضٍ صالحة لنشر دِين الله، وكفالة حرية العقيدة، فهذا هو السبيل لبعث الأمن والطُّمأنينة في نفوس المسلمين؛ حتى لا يُؤذَوا بسبب إيمانهم، ولضمان الأمن أيضًا لمن يرغب مِن العرب في دخول الإسلام.

إعداد وتنظيم الوسائل اللازمة لتحقيق تلك الأهداف:

وقد بدأ هذا التدبير مبكرا بعرض نفسه على القبائل من العرب أن يحموه وينصروه، أخفى ﷺ رسالته ثلاث سنين، ثم أعلن بها في الرابعة، ودعا إلى الإسلام عشر سنين، يوافي الموسم كل عام، يتبع حجيج الجاهلية في منازلهم بمنى والموقف، يسأل عن القبائل قبيلة قبيلة،

ويسأل عن منازلهم ويأتي أسواق المواسم: عكاظ، ومجنة، وذو المجاز، يدعوهم إلى أن يمنعوه حتى يبلغ رسالات ربه.

اختيار المكان:

ولما أوحى الله سبحانه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بالهجرة، كان سبيلُه إلى تحقيق ما أُوحي إليه إعمالَ الفكر والتدبير؛ حتى يضمن نجاح مهمته، ولم يكن ثمةَ بدٌّ من وضع خطة لتوقّي العقبات، وكفالة الانطلاق إلى الهدف المرسوم، فكان للهجرة مقدماتُها الضرورية، وفي مستهلِّها اختيارُ المكان الذي يقصده الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون، خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف –وهي القوة المنافسة لقريش في الجزيرة– باحثًا عن هذه الأرض وعن هذه الحماية التي تمكنه من الانطلاق في دعوة الناس إلى الإسلام، وحين وُوجه هناك بأقسى مما توقع، فأُوذي وأُهين –وهو الكريم النسب والخلق وبعد أن تجاوز الخمسين–؛ لم يقعد ولم ينتظر، بل غير أسلوبه التكتيكي في البحث عن مكان للخروج إليه فرأى أن يبحث وهو مقيم بمكة حتى لا يتكرر ما حدث له من هوان على يد أهل الطائف وصعوبة دخوله لمكة بعد رجوعه إلا في حماية أحد المشركين، فوسع دائرة البحث حتى كان يعرض نفسه (الإصرار على الهدف) على القبائل في موسم الحج، وكان شعار هذه الفترة معبرًا عن طبيعة الهدف "ألا رجل يحملني إلى قومه؟ فإن قريشًا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي"[1] بعد أن كان سابقًا يدعوهم ولكن ليؤمنوا فقط.

وذكر أصحاب السِيَر أسماء خمس عشرة قبيلة كلها رفض دعوته، حتى أعثره الله في آخر الأمر على النفر الستة من يثرب[2]، فأيده الله بهم ووقع اختياره –عليه الصلاة والسلام– بوحي من الله على يثرب؛ لوفائها بمقصده، وتناسبها مع الهدف من هجرته؛ إذ كانت له بها صلة قربى، كما كانت في مقدمة مدن الجزيرة العربية غنًى بمائها، وزرعها، وثرواتها التِّجارية، وعمارًا

(١) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في القرآن، (٤/ ٢٣٥)، ح(٤٧٣٤) قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٢) يرجع أصحاب السير في أسماء القبائل وعددها إلى الواقدي، وهو حجة في مثل هذه الأخبار وإن كان متروكًا في الحديث.

بدورها، ومنعةً بحصونها، وسيادة وسلطانًا بأهلها من الأوس والخزرج، وكانت طريق تجارة مكة إلى الشام، ومِن ثم فإن موقعها الاستراتيجي الحيوي -إذا أقام فيها المسلمون- يهدّد مصالحَ قريش بالخطر، إن سوَّلت لها نفسُها التعرُّضَ للمسلمين، والصدَّ عن دين الله.

تدابير تمهيدية(٣):

غير أن هذه الظروف المشجّعة على الهجرة إلى يثرب، والمحفزة على اتخاذها موطنًا للعقيدة، ودولةً للإسلام- قد ساندتها بعضُ التدابير التي قام بها النبي صلى الله عليه وسلم في سبيل تأليف قلوب أهل المدينة، وعقد معاهدة صداقة ودفاع معهم، حتى إذا ما قدم بدِينه إليهم، وحلَّ مع صحبه في ديارهم، طاب فيها مقامه، وكان له من بقاعها بديلٌ عن الوطن الذي أُكره على تركِه، والنزوح بعيدًا عنه، ووجد فيها المناخ الملائم لدعوته، والقلوب الصادقة المناصرة له.

أما هذه التدابير التي قام بها النبي صلى الله عليه وسلم وكانت تمهيدًا -خيرَ تمهيد- لتنفيذ خطة الهجرة، فهي بيعتا العقبة الأولى والثانية.

وتدل وقائع هاتين البيعتين والظروف التي اكتنفتهما، على مبلغ الإحكام في التخطيط لهما؛ إذ كان نجاحها بمثابة نجاح لمرحلة تحضيرية للهجرة، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتحيَّن الفرصة المناسبة لعقد المعاهدة؛ حتى لا يستلفت إليه النظر، فكان يختار موسم الحج، وكان المتعاهدون يَخرُجون من مكة، حيث يغصُّ الموسم بالجموع المتزاحمة، إلى بقعة بعيدة هادئة هي العقبة، كما كانوا يختارون الليل موعدًا للقائهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتسللون واحدًا بعد آخر من رحالهم للتجمع في المكان المحدد، خلال ساعة من الليل محددة.

ومن رجاحة التخطيط أيضًا: مراعاةُ التدرج في تنفيذ الخطة، فقد استخدم رسول الله ﷺ أنواع التخطيط السابق ذكرها في المبحث السابق بوضع خطط طويلة الأجل ومتوسطة وقصيرة في كل مرحلة من مراحل الهجرة، بمعنى إنجازها على مراحل بحسب مقتضيات الحال، أو وضع خطط جزئية تندرج في إطار الخطة العامة، وتنفيذها واحدة بعد أخرى، ذلك أن الطفرة قد تؤدي إلى الإخفاق في الوصول إلى الهدف المنشود، وقد تحقق ذلك في بيعتي العقبة، إذ اقتصرت

(٣) منير محمد الغضبان، **المنهج الحركي للسيرة النبوية**، ط٦، ص ١٣٣ - ١٩٩، بتصرف.

الأولى على الدخول في الإسلام، إضافة إلى بعث مصعب بن عمير إلى المدينة مع الوفد؛ للدعوة فيها إلى الإسلام، وقد أسلم على يده خَلقٌ كثير؛ مما مهَّد للبيعة الثانية، التي تجاوزت الدخول في الإسلام إلى عقد حلف دفاعي بمعنى القتال مع النبي ضد المشركين دفعًا للعدوان بالعدوان(١).

هجرة المسلمين:

عندما بلغ قريشًا نبأُ الحلف الذي عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الأوس والخزرج غشِيَهم الفزعُ، وأخذ النبي صلى الله عليه وسلم يحثُّ أصحابه في مكة أن يهاجروا إلى المدينة؛ نجاةً بأنفسهم وعقيدتهم من أذى المشركين، وتعزيزًا للإسلام في الأرض الجديدة، وبدأت طلائع الهجرة تترَى إلى يثرب، مما يصح معه القول: إن هذه الهجرة -شأنها في ذلك شأن بيعتي العقبة- كانت تمهيدًا لخطة هجرة النبي.

وكان أمر الرسول صلى الله عليه وسلم للمؤمنين أن يخرجوا من مكة متفرِّقين، وأن يلتزموا الكتمان؛ حتى لا يجلبوا عليهم نِقْمةَ قريش، وكانت المسيرة من مكة إلى المدينة في سبيل اللحاق بالأنصار محفوفةً -برغم احتياطات الأمن- بالآلام وصنوف العذاب، ولكن لا ضير؛ فإن الهجرة بابٌ من أبواب الجهاد، والمهاجِر مجاهِد وله أجرُه.

المؤامرة والخطة المضادة:

وعزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخروج، وأخذ يُعِد لذلك الوسائلَ اللازمة لتحقيق الهدف، ويرسم طريقة التنفيذ، ولكن طرأ عامل جديد على الموقف، فَرَض نفسَه على أسلوب الهجرة وتوقيتها، واقتضى مزيدًا من التدبير والإحكام، فقد رأتْ قريش أن المسلمين قد صاروا إلى المدينة، وقد دخل أهلُها الإسلامَ، وفشِل بذلك كلُّ ما وضعتْه من خطط، وما ابتدعتْه من أساليبَ، وأدركتْ أن محمدًا صلى الله عليه وسلم لاحقٌ لا محالة بصحبه وحلفائه في يثرب، فأخذتْ تُفكِّر فيما تفعل؛ لتحبط ما قام به محمد ﷺ ولتمنعه من اللحاق بأنصاره، ولما رأتْ أنها استنفدت ما في جعبتها، ولم يبقَ بها إلا سهمٌ واحد، عمدتْ إلى تجرِبته، ولم يكن

(١) محمد الغزالي، **فقه السيرة**، ط١، ص ١٤٦- ١٦٥، بتصرف.

هذا السهم إلا نسجَ مؤامرةٍ لقتله صلى الله عليه وسلم.

ولما نمى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم نبأُ المؤامرة، لم يكن ثمة بدٌّ من وضع خطة مضادة لما دبَّرتْه عصبة قريش، فلقد حزم النبي صلى الله عليه وسلم أمرَه على الهجرة، وأعدَّ لها مقدماتِها، ولم يبقَ إلا أن يوحى إليه أن يهاجِر، فجاءه أمر ربه، فوضع لتنفيذ خطة تتناول عدة مراحل، أولاها: إعداد مستلزمات الرحيل، والثانية: الخروج من بيته، والثالثة: الاستخفاء عن أعين قريش في الطريق.

وفي خطة هجرته صلى الله عليه وسلم نرى كيف أحكم ودبَّر، فالنبي صلى الله عليه وسلم حينما أخذ بالأسباب لم يعتمد عليها، ولكنه اعتمد على الله وأمَّل في نصره واستشعره، وهذا الموقف دقيق جدًا، فقد أخذ بالأسباب وكأنها كل شيء فيما يبدو، وتوكل على الله وكأنها ليست بشيء، فكل وقائع هجرته ﷺ تؤكِّد ذلك، مثل استئذان أبي بكر رضي الله عنه في الهجرة، وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم له: ((لا تعجل؛ لعل الله يجعل لك صاحبًا))[1]، دون أن يخبره بأنه بصدد انتظار الإذن؛ ليكون هو الصاحب، وعندما جاء الرسول صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضي الله عنه وسط النهار، في وقت لم يؤلف فيه الخروج؛ وذلك تعمية على الأعداء، وكذلك عندما قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر: ((أخرِج مَن عندك))؛ ليخبره بالإذن في الهجرة؛ حتى لا يشيع الأمر، ويحبط العمل.

واستئجار عبدالله بن أريقط -وكان مشركًا- ليدلَّهما على الطريق، وواعده غارَ ثور بعد ثلاثِ ليالٍ، بعد أن تكون حركة المشركين هدأتْ في الطلب، إلى آخر وقائع الهجرة التي تؤكِّد كلها الدرس الرائع في التخطيط، والدراسة للقضايا الكبيرة والأمور الجزئية، والدقة في الحركة والتنفيذ، والتعامل مع الأسباب للوصول إلى النتائج، والتوكل على الله واللجوء إليه، بعد بذل الطاقة والإمكانات.

(١) المعجم الكبير للطبراني، باب هشام بن العاص بن وائل السهمي، (٢٢/ ١٧٧)، ح(٤٦٢). قال الشيخ الألباني: بدون إسناد: لكن معناه فيما أخرجه البخاري (٧/ ١٨٣- ١٩٧) من حديث عائشة -رضي الله عنها- الطويل في الهجرة.

وأخيرًا تحقق الهدف، ووجدت الأرض التي تستعد لإقامة دولة الفكرة، دولة الإسلام؛ التي حملت الدعوة ونشرت الإسلام في الجزيرة العربية كلها، ثم في أرجاء العالم من بعد، ليتحقق للإسلام عالميته. **عناية الله لا تأتي إلا مع التخطيط:**

لو أراد الله نقل نبيه ﷺ بالبراق، أو أن يخرجه نهارا وهم ينظرون ولا يستطيعون منعه لكان ما أراده الله، ولكنه خرج كما خرج عامة المسلمين، فالنبي ﷺ كان يخطط ثم تأتي عناية الله ثم يخطط ثم تأتي عناية الله.. وهكذا، إذا هجرة النبي ﷺ لم تكن معجزة بل مثالًا يُحتذى:

- خطط فأمر عليًّا بالنوم في فراشه لتضليل الكفار، فكانت عناية الله بأن أعمى أبصارهم وهو ماثٌ من بين أيديهم.
- خطط النبي ﷺ فوظف آل بيت أبي بكر، منهم من يحمل له أخبار قريش للغار، ومنهم من يُعد له الطعام ويحمله إليه، ومنهم من يرعى الأغنام خلفه حتى يُخفي آثار الأقدام، ورغم ذلك تصل قريش لغار ثور فتتدخل العناية الإلهية ويصرف الله أنظارهم عن الغار.
- خطط النبي فسلك طريقًا غير الطريق المعتادة عليها قريش، واستعمل مرشدًا حاذقًا للطريق، ومع ذلك لحقه سراقة بن جبل، فجاءت العناية الإلهية فساخت قدما فرس سراقة.

فالتخطيط كان طوال رحلة الهجرة، صنع كل ما يمكن لعقل بشري متمكن أن يصنعه، فكان لا بد بعد اتخاذ الأسباب أن تتدخل عناية الله.

ولا أحد يتخيل أن العناية الإلهية للأنبياء فقط بل للمسلمين جميعًا بشرط التخطيط.

فالهجرةُ تُثبت أنَّ رحمة الله وعنايته لا تُرتجَى مِن الخمول أو الكسل، مِن القنوط أو القعود، إنما تُرتجَى مِن الحرَكة والعمل والنشاط والجهاد، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ﴾ البقرة: ٢١٨.

أما الاستضعاف والسكون، والرِّضا بالذل والهوان، فإنَّه يُورِد المهالكَ، ويؤدي بصاحبه إلى سوء المصير؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾ النساء: ٩٧.

الخلاصة:

ما قام به النبي ﷺ يُعد مثالًا لما يجب أن يكون عليه التخطيط[١]:

- وجود الرؤية مهم لكل من يقدم على التخطيط، من خلالها يضع أهدافه ويضع خططه (نشر الدين وإقامة دولة إسلامية عالمية).
- وضع الأهداف التي من خلالها تتحول الرؤية إلى واقع، سواء كانت أهدافًا بعيدة أو قريبة المدى (الهجرة إلى المدينة).
- وضع الخطط والتكتيكات التي من خلالها تتحقق الأهداف تباعًا (الأفعال التمهيدية للهجرة، وإرسال مصعب بن عمير للمدينة لتمهيد الطريق للوصول للهدف).
- تحديد الوقت المطلوب لتحقيق الأهداف من أهم شروط التخطيط (بالنسبة للنبي ﷺ فقد كان يتحرك بأمر الله).
- عمل المراجعات المستمرة لما تحقق من أهداف وخطط موضوعة بناء على الرؤية الأساسية (تغير وجهته من الطائف للمدينة ﷺ).
- اختيار الرجال الذين تسند إليهم المهام أساس في إنجاح الخطط (كمهمة السفير لمصعب بن عمير، الصاحب لأبي بكر الصديق، وعلي بالمبيت بفراش النبي).
- جمع المعلومات ومعرفة أبعاد الموقف من أهم أسباب نجاح الخطة (كما جمع مصعب بن عمير لرسول الله معلومات عن المدينة).

***ونختم بالسؤال عن أساسيات علم التخطيط ووضع الخطط، هل هي موجود في القرآن الكريم؟**

الجواب في قوله تعالى في سورة الكهف: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴿٢٤﴾ ﴾ الكهف: ٢٣ – ٢٤.

(١) صالح إبراهيم، **محمد ﷺ لماذا هو الأعظم؟**، ط١، ص ٧٣-٧٤.

نجد في هذه الآية ثلاث كلمات إعجازية لخصت كل أساسيات التخطيط، والقرآن ليس كتاب إدارة

أو تنمية قدرات[١]، لكنه كتاب هداية يعطينا إشارات لنستنتج ونستخرج الباقي، وهذه الكلمات هي[٢]:

- (لِشَاْىْءٍ): إشارة إلى الهدف الذي تسعى إليه، ويؤكد هذا المعنى تنكيرها وإبهامها.
- (فَاعِلٌ): إشارة إلى الخطوات المقصودة لتحقيق الهدف.
- (غَدًا): إشارة إلى الجدول الزمني الذي عنده تكون قد حققت هدفك.

والخطاب في الآية وإن كان موجهًا لرسول الله ﷺ إلا أنه خطاب لعامة المسلمين، توجيه بعد بذل الجهد بالتوجه إلى الله أن يمدنا بعنايته وتدبيره، (وحَرِيٌّ بعبدٍ تكون هذه حاله، ثم يبذل جهده ويستفرغ وسعه في طلب الهدى والرشد أن يوفق لذلك، وأن تأتيه المعونة من ربه، وأن يسدد في جميع أموره)[٣].

ثم أتى قوله تعالى: (إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ) بعد الآية التي أشارت إلى التخطيط، لتشير إلى أنه بعد أن نخطط ونحسن التخطيط نقول إن شاء الله، (وليس معنى هذا أن يقعد الإنسان، لا يفكر في أمر المستقبل ولا يدبر له وأن يعيش يوما بيوم، لحظة بلحظة. وألا يصل ماضي حياته بحاضره وقابله، كلا فليفكر الإنسان وليدبر، ولكن ليشعر أنه إنما يفكر بتيسير الله، ويدبر بتوفيق الله، وأنه لا يملك إلا ما يمده الله به من تفكير وتدبير. ولن يدعو هذا إلى كسل أو تراخ، أو ضعف أو فتور، بل على العكس يمده بالثقة والقوة والاطمئنان والعزيمة.

(١) جاءت هذه الآيات تعقيبًا على قصة أصحاب الكهف وبغض النظر عن سبب نزول الآيات؛ فهو بعمومه لا بخصوص سببه، نلحظ الاشتراك في موضوع الهجرة بين ما نحن بصدده وهجرة أصحاب الكهف فرارًا بدينهم إلى الكهف، وكأنها إشارة إلى أن التخطيط سنة من سنن نجاح الهجرات، وهذا يؤيد ما ذهبنا إليه أن الآية تحتوي على أساسيات التخطيط والهجرة نموذجًا مباشرًا لها.

(٢) صالح إبراهيم، **محمد ﷺ لماذا هو الأعظم؟**، ط١، ص٢٢، بتصرف.

(٣) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ط١، (٤٧٤/١).

هذا هو المنهج الذي يأخذ به الإسلام قلب المسلم؛ فلا يشعر بالوحدة والوحشة وهو يفكر ويدبر، ولا يحس بالغرور والتبطر وهو يفلح وينجح، ولا يستشعر القنوط واليأس وهو يفشل ويخفق، بل يبقى في كل أحواله متصلًا بالله، قويًّا بالاعتماد عليه، شاكرًا لتوفيقه إياه، مسلمًا بقضائه وقدره، غير متبطر ولا قنوط)[٤].

(٤) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ط١٧، (٤/٢٢٦٥).

المبحث الثالث: أرجحية عقل الرسول ﷺ على سائر العقول

﴿ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾

وهذا التخطيط السليم في كل خطوة واستشراف المستقبل إنما يدلل على أرجحية عقل سيدنا محمد ﷺ، فقد بلغ من أرجحية العقل وكماله الغاية القصوى التي لم يبلغها أحد سواه وذلك بنعمة الله تعالى وفضله عليه ﷺ.

قال تعالى: ﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ ﴾ القلم: ١ – ٢، (لست يا محمد بسبب نعمة النُّبوة بمجنون كما يزعمون، وإنما أنت ذو مكانة عالية وعقل رشيد وفكر سديد. أخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال: كانوا يقولون للنَّبي ﷺ: إنه مجنون، ثم شيطان، فنزلت: ﴿ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ ، وهو جواب القسم، أي إنك بسبب نعمة ربّك –وهي جملة اعتراضية– لست مجنونًا)[1].

أقسم الله بالقلم المستفيض وبما يسطره المسطرون في المستوى الأعلى، وما تسطره الأقلام المستمدة من القلم الأول، أقسم بهذا القسم العظيم على سعة عقل هذا الرسول الكريم ﷺ، وإنه ليس فيه شائبة جنون، وإنما هو صاحب العقل الأكمل والعلم الواسع الأفضل، وأنه كيف لا يكون عقله فوق كل العقول وقد أنعم الله عليه وأكرمه فخصه بالنبوة الجامعة ونزول القرآن الجامع للعلوم كلها، فهو ينفي ما اختلقه أعداؤه ويثبت له بالدليل القاطع أرجحية العقل والحكمة.

ويتجلى كمال عقله ﷺ وسعة فكره في جميع قضاياه وأعماله وأقواله وأحواله، سنذكر منها أطرافًا موجزة مما له علاقة بموضوع الهجرة والتخطيط لها[2]:

- مواجهة عقلية قريش الصلبة المتحجرة المنحرفة وتحويلها إلى عقلية لطيفة سليمة صائبة لهو أمر كبير يحتاج إلى عقل رجيح، وذلك من خلال الرجال الذين أعدهم رسول الله ﷺ في مكة وسبقوه إلى المدينة لإقامة دين الله، ولا شك أن جميع ذلك كان بتعاليم أحكم الحاكمين

(١) الزحيلي، **التفسير الوسيط**، (٣/ ٢٧٠٩).

(٢) عبد الله سراج الدين، **سيدنا محمد رسول الله ﷺ شمائله الحميدة وخصاله المجيدة**، ط٧، ص ١٠٩، بتصرف.

وبوحي رب العالمين، لكن التعاليم الإلهية لا بد لها من عقل كبير مشرق منير قد أعده الله تعالى لحملها، ثم تطبيقها وتنزيلها في منازلها اللائقة بها.

- حسن تأليفه بين قومه، وتأليفه بين المهاجرين والأنصار بعد الهجرة، وعقد المصالحة بين المسلمين واليهود لمن أكبر الشواهد على سعة عقله ﷺ وسمو فكره.
- من أعظم ما يدل على أرجحية عقله ﷺ وفرط ذكائه مواقفه اليقظة من المتصدين له بالعداوة، وأخذه بأنواع الحذر منهم، ورده مكرهم عليهم، ويظهر ذلك في إرساله مَن يكشف له عن خبر الأعداء من طريق خفي، وانتقائه للرجال الأذكياء العقلاء ليوكل لهم المهام؛ كإرساله مصعب بن عمير الى المدينة.
- معاملته ﷺ وحسن سياسته ومداراته للناس على مختلف طبقاتهم تأليفًا لهم، واستمالتهم نحو الحق الذي جاء به بتلطيف الحال ولين المقال، فها هو ذا وفي أصعب الأحوال والمواقف وسُراقة يلحق به ليمكن منه قريشًا يعده بسواري كسرى، فيعود ليعمي عنه قريش بدل أن يمكنهم منه.

وبربط كمال عقله ﷺ وأرجحيته بموضوع التخطيط نجد أن التخطيط سليقته وشيمته ﷺ، فحياته عبارة عن خطة وراء خطة لتحقيق أهدافه.

كما أنه يسعى بمنهجية لتحقيق هدفه وهو توصيل الرسالة، فبدأ بالدعوة سِرًّا ثم جَهرًا ثم خرج للمدينة وأسس دولة إسلامية وأدخل الدفاع عن النفس والجهاد في سبيل الله، كل هذه المراحل وغيرها لم تكن عشوائية، بل منظمة ومخططة على أعلى ما يكون التخطيط، والهجرة كانت مرحلة فارقة في الخطة العامة ونقلة جوهرية في تبليغ الرسالة، ورغم هذا فالبعض يظن أن الحمامة والعنكبوت على باب الغار كان لها الدور الأكبر في نجاح الهجرة!

وأخيرًا.. نجح رسول الله ﷺ في أن يرى كل ما خطط له يتحقق في حياته وليس بعد مماته وكان ما قام به النبي مثالًا لما يجب أن يكون عليه التخطيط، فالتخطيط سنة نبوية، وعناية الله لن تأتي إلا مع التخطيط.. ولنا في رسول الله أسوة حسنة.

الفصل الثاني: منظومة الأخلاق (تطبيق على أخلاقيات الهجرة النبوية)

المبحث الأول: أخلاقيات الهجرة النبوية.

الأخلاق أرضية طيبة من الثقة والاحترام تُؤَسَّسُ لدى المدعُوِّ، تهيئه فيما بعد لتقبل الدعوة، وهو ما كان من قريش حيث دخلوا جميعًا في الإسلام.

وقد تحمل الصحابة رضوان الله عليهم في سبيل الهجرة الكثير، وتسلحوا بسلاح الدين والأخلاق، والمتاعب التي تحملها أصحاب رسول الله أكبر من أن توصف حتى وصل الدين إلينا، وقدم إلينا على طبق من ذهب، أما الصحابة الكرام فقد فُتنوا، وقُتِّل بعضهم، وحُبسوا، وأخذت أموالهم، وحُجزت عنهم زوجاتهم، وكانوا أبطالًا بحق، بل إن أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام كانوا نخبة، كان يقول عنهم: "إن الله اختارني واختار لي أصحابًا"(١)،

فالعقيدة الإسلامية ذات رسالة أخلاقية، وفي هذه الهجرة جوانب أخلاقية رائعة كانت سببًا في إنجاح الهجرة، نذكر بعضًا منها:

حب رسول الله ﷺ:

رسَّخت أخلاقيات الهجرة النبوية الشريفة الحب الصادق والتضحية بالنفس والنفيس فداءً من الصحابة الأجلاء لقائدهم رسول الله ﷺ، بحيث نراهم يحبونه أكثر من أنفسهم، بل يؤثرونه عليها وعلى راحتهم وأموالهم وأرزاقهم ومتاعهم وأبناءهم والناس أجمعين، وقد تجلى هذا الحب الطاهر المشبع بأخلاق النبوة وتعاليمها الشريفة في أكثر من موطن:

- بكاء أبو بكر من شدة الفرح حين دخل عليه النبي ﷺ وبشره بأنه أذن له بالهجرة وسأله الصحبة، وتتجلى أخلاقيات النبوة وأثرها في أبي بكر (رضي الله عنه) في غار ثور حيث أقسم أبو بكر على الرسول ألا يدخل الغار حتى يدخل قبله، فإن كان فيه وحش كاسر تعرض أبو بكر لأذاه دون النبي ﷺ، وحين كان يمر شباب قريش الجهلاء من أمام الغار، ويسمع أبو بكر وقع أقدامهم وأصواتهم، يبكي بكاءً مرًّا خوفًا على حياة الرسول عليه الصلاة والسلام،

(١) الطبراني، **المعجم الكبير**، باب عويم بن ساعدة الأنصاري، ط٢، (١٧/١٤٠)، رقم ٣٤٩، قال الشيخ الألباني: ضعيف.

وهي منقبة عظيمة لأبي بكر سجلها القرآن الكريم منوهًا بما كان عليه رضي الله عنه من الحب للنبي والخوف عليه وتفديته بنفسه، ولقد علمت أمة الإسلام أنه أفضل الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم.

- فدائية علي رضي الله عنه بمبيته في فراش النبي صلى الله عليه وسلم وهو يعلم بالأمر، تدل على حبه لرسول الله وخوفه على حياته فيفتديه بنفسه، وهو يجسد مبدأ الطاعة لأمر القائد باعتباره خُلُقًا إسلاميًّا أصيلًا فكان مثال الجندي المطيع لأمر قائده. إن التربية الإيمانية هي وحدها الجديرة بتقديم مثل هذه النماذج الرفيعة في الجندية والشهامة والرجولة.

التضحية:

تأتي الهجرةُ لتُعلي قيمة التضحية، فمن أجل تبليغ الدعوة إلى العباد كانت التضحيةُ بالوطن، فهذا رسول الله يقول وهو خارج من مكة: (واللهِ إنَّك لخيرُ أرض الله، وأحبُّ أرض الله إليَّ، ولولا أنِّي أُخرجتُ مِنك، ما خرَجْتُ)(١).

والتضحيةُ بالمال ولو كان كثيرًا (موقِف صُهَيب الرومي)، والتضحية بالأهلِ ولو كانوا أحِبَّة (موقِف أُسرة سَلَمَة)، والتضحية بالراحة والاستقرار ولو كانَا في قبضةِ اليد، التضحية بالنفس (موقف علي بن أبي طالب ومبيته بفراش النبي رغم علمه بنية قريش بقتل النبي)، التضحية بالأولاد (فهذا أبو بكر لم يقل أجنب أبنائي الأخطار، لا سيما البنات، بل تجلى صدق إيمانه في كل خطوة من خطوات الرحلة، فكانت نصرةُ الدين أعلى وأغلى عنده من النفس والولد والمال)، وبمثل هذا الصدق تنجح الدعوات وتنتصر. إنَّها ثمرةُ التربية التي حرص القائدُ الأعلى عليها طوالَ ثلاث عشرةَ سنة.

التعاون:

وهو سر نجاح هجرة النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقد هاجر صلى الله عليه وسلم من "مكة" إلى "المدينة" بعد تخطيط جيد، وتعاون مثمر من عدد من الرجال والنساء، كان لكل

(١) سنن الترمذي، كتاب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب في فضل مكة، (٥/ ٧٢٢)، ح(٣٩٢٥) قال الشيخ الألباني: صحيح.

منهم دوره المرسوم الذي أداه بدقة، وهم:

• "أبو بكر الصديق": اختاره النبي صلى الله عليه وسلم رفيقًا له في الهجرة، وكان "أبو بكر" قد أعد راحلتين للهجرة يحملانه هو والنبي صلى الله عليه وسلم إلى "المدينة".

• "علي بن أبي طالب": كان دوره أن ينام على فراش النبي صلى الله عليه وسلم ويتغطى بغطائه، حتى يظن الواقفون على باب بيت النبي صلى الله عليه وسلم الذين يريدون قتله أنه لا يزال نائمًا، في الوقت الذي يكون فيه هو وصاحبه "أبو بكر الصديق" قد خرجا من"مكة" في طريقهما إلى "المدينة".

• "عبد الله بن أريقط": وقد استعان به النبي صلى الله عليه وسلم ليكون دليلًا له في سيره إلى "المدينة" في طرق غير معروفة، وكان خبيرًا في مسالك الطرق أمينًا لا يُفشي سرًّا.

• "أسماء" و"عائشة" ابنتا "أبي بكر الصديق": كان دورهما أن يجهزا الطعام الذي سيأخذه المهاجران في رحلتهما إلى "المدينة".

• "عبد الله بن أبي بكر الصديق": كان دوره أن يأتي بالأخبار التي يتداولها أهل "مكة" إلى النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه "أبي بكر" ليلًا، وهما في غار ثور يختبئان من "قريش".

• "عامر بن فهيرة": هو خادم "أبي بكر"، كان يرعى الغنم، وكان دوره أن يمحو بأغنامه آثار قدم "عبد الله بن أبي بكر"، وهو في طريقه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه؛ حتى لا يستدل على مكانهما أحد.

الإخاء والإيثار:

الأخوة بين المهاجرين والأنصار بلغت ذروتها، وتميزت بالإيثار والتعفف، كان الأنصاري يخير أخاه من المهاجرين أن يأخذ من أمواله ما يشاء، وكان المهاجري يتعفف أن يطلب بملع وجشع! مجتمَع لم يَعرفْ له التاريخُ مثيلًا من قبلُ ولا مِن بعدُ، حتى استحقَّ التكريم والتخليد في القرآن الكريم، تتعبَّد به الأجيالُ جِيلًا بعدَ جِيل إلى يومِ الدين.

جاء في المهاجرين قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾﴾ الحشر: ٨

وفي الأنصار: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الحشر: ٩

وفي الذين ساروا على نَهْجِهم، وسَلكوا طريقَهم عبرَ الزمان والمكان: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ الحشر: ١٠

هذا التآخي وصل المرتبة المثالية حين كان الصحابة يتوارثون بينهم ويتناصرون دون أرحامهم من المشركين، ويفضلون إخوانهم من المسلمين على ذوي القرابة الحقيقية من غير المسلمين، فكانت أخوة الإيمان والعقيدة أوثق لديهم، وقد تأسس بعد الهجرة النبوية الشريفة أول تكافل اجتماعي في تاريخ البشرية.

الصدق والأمانة:

القيم الأخلاقية لا تهتز في منظور الإسلام تحت أي ظرف من الظروف مهما كانت شدته وقسوته.

- فقد قال أبو بكر لمن سأله عن الرجل الذي معه: هذا يهديني الطريق، يقصد الهداية إلى الحق، ويفهم السائل أنه خبير بالطرق والدروب في السفر، وكان ذلك كافيًا في مثل تلك الحال، دلالة على مشروعية المعاريض عند الحاجة إليها، ففيها مندوحة عن الكذب وسائر ألوان التمويه والتعمية بقدر الحاجة فحسب، إذ الضرورة بقدرها كما تقرر في الأصول.
- في ائتمان المشركين للنبي صلى الله عليه وسلم على أماناتهم رغم جحودهم لدعوته، وتكليف النبي صلى الله عليه وسلم عليًّا برد الأمانات التي عنده للمشركين.

وآخرًا.. هناك غير ما ذكرت من أخلاق الهجرة كثير كالصبر، والعفو والصفح، والتواضع، وغيرها، فأخلاق الهجرة كثيرة يتضمن بعضها بعضًا، وليس المقام لذكرها إنما الاستشهاد بها وربط علاقتها بموضوع البحث.

المبحث الثاني: التشريع والأخلاق

الأخلاق جوهر الإسلام وروحه السارية في جميع جوانبه، وقد قصر رسول الله صلى الله عليه وسلم أهداف رسالته عليه في قوله: (إنما بُعِثتُ لأتمم مكارم الأخلاق)[1].

هدف الإسلام هدف أخلاقي، وقد قال الله تعالى في حقه صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ القلم: ٤.

وجاء المنهج الإسلامي بنظام التشريع وبنظام الأخلاق، وجعلهما جنبًا إلى جنب؛ ذلك أن العلاقة بينهما وثيقة، والصلة حميمة.

فإذا كان التشريع يعالج الأساس فإن الأخلاق تعالج البناء، وإذا كان التشريع يتناول الظاهر، فإن الأخلاق تتناول الباطن.

فمن لَوازم الإيمان بالله تعالى أنْ يتحلَّى المسلم بالخلقِ الحسن ويُعامل الناسَ بمكارمِ الأخلاقِ، وهو جزءٌ رئيس من الإيمان بالله تعالى لا ينفكُّ عنه، وكلَّما قوي إيمان العبدِ كان التزامه بالخلق الحسن أقوى.

• هكذا يرشدُنا كتابُ ربّنا وسنةُ نبيّنا ﷺ، فالله تعالى يقول: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ البقرة: ١٧٧.

فجعل الإحسان إلى القريبِ واليتيم والمسكين، والوفاءُ بالعهدِ من خِصال الإيمان، وذكرَها الله تعالى قرينةً للإيمان به سبحانه وباليوم الآخِر.

وقال ﷺ: (الإيمان بضعٌ وسبعون شعبةً، والحياء شعبة من الإيمان)[2].

---

(١) البيهقي، **السنن الكبرى**، باب بيان مكارم الأخلاق ومعاليها، ط٣، (٣٢٣/١٠)، رقم ٢٠٧٨٢، قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٢) الإمام مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان، (٦٣/١)، رقم ٣٥.

ويقول ﷺ: ((أكملُ المؤمنين إيمانًا أحسنُهم خلقًا، وألطفهم بأهلِه))[١].

وأخرج الترمذي عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله ﷺ: ((المسلمُ مَن سَلِمَ المسلمون من لسانِه ويدِه، والمؤمنُ مَن أمنه الناس على دِمائهم وأموالِهم))، وقال: حديث حسن صحيح[٢].

والأحاديث في ذلك كثيرة ليس مقام ذكرها، فالشاهد أن الشارع جعل التحلّي بالخلق الكريم من أهمِّ خصال الإيمان ولوازمه، ونفهمُ من هذا أنَّ مَن حسنت أخلاقه وطابت فعاله مع الناس كان أقربَ إلى الإيمان وأكثر تحقيقًا له ممَّن ساء خلقُه وشان طبعه.

نخلصُ من ذلك إلى أنَّ للإيمان حقيقةً، وكل حقيقة لها علامة، وعلامة الإيمان: العملُ به وتحقيقُ أركانِه والتزام لوازمه، ومن لوازم الإيمان بالله تعالى التحلّي بمكارم الأخلاق والإحسان إلى الخلق.

وتجمع النظامين التشريعي والأخلاقي غاية واحدة، وهي الوصول بالإنسان إلى درجة الإحسان، ولا تتخلف هذه الغاية حتى في ميدان العبادات.

فعباداتُ الإسلام الكبرى وأركانه العظمى تربينا على حسن الخلق:

- ففي شأن الصلاة قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ﴾ العنكبوت: ٤٥.
- وقال في شأن الزكاة: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ التوبة: ١٠٣.
- وقال في شأن الصوم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ البقرة: ١٨٣.
- وقال في الحج: ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث عائشة رضى الله تعالى عنها، (٩٩/٦)، ح(٢٤٧٢١) تعليق شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح لغيره.

(٢) الإمام الترمذي، **سنن الترمذي**، أبواب الإيمان، باب ما جاء في أن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، (٣١٣/٤)، رقم ٢٦٢٧، قال الألباني: حديث حسن صحيح.

جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّ ﴾ البقرة: ١٩٧.

وهكذا كان الجانب الخلقي واحدًا من غاية العبادات..

ولعل هذا يفسر بعض الحكمة من سياق الآيات الكريمة، حيث لم يفصل القرآن الكريم بين الأحكام التشريعية وبين الأحكام الأخلاقية، بل جاءت مع بعضها، ذلك أن غايتهما واحدة، ولا بد من التعاون بينها.

والهجرة كانت ميلاد أول مجتمع إسلامي، طبَّق فيه الصحابة -بِحُرِّيَّةٍ- الشريعة الإسلامية التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم بعيدًا عن عَنَتِ المشركين، وتوافرت لهم مقدمات أمة ذات شخصية مستقلة، وتكونت هذه الأمة من أسر وجماعات متصلة المصالح والمعاملات، ولا بد من وضع قوانين ونظم لتدبير علاقة الأمة بولاة أمرها، ولتدبير علاقات الأمة بغيرها من الأمم، وتدبير علاقة أفراد الأمة بعضهم ببعض.

وكان لهذه التشريعات الجديدة التي لم يعهدها المسلمون من قبل علاقة وثيقة بالأخلاق كما كانت الأخلاق من قبل من أساسيات هذا الدين. نذكر بعض هذه التشريعات وصلتها بالهجرة المحمدية:

المعاهدات والمواثيق:

- لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن آمنوا به إلى المدينة المنورة واجهتهم حال ما كان لهم بها عهد، تلك هي أن المسلمين وجدوا أنفسهم بيثرب يعيشون مع اليهود، وهؤلاء اليهود لا تربطهم بالمسلمين رابطة الدين حتى يأمنوهم ويثقوا بأنهم يد معهم، ولهذا لما استقر المقام برسول الله صلى الله عليه وسلم بدأ بعقد الإخاء بين المهاجرين والأنصار، ثم أتبع ذلك بعقد معاهدة بين المسلمين واليهود، تعهد لهم فيها بأن يكونوا أحرارًا في إقامة شعائرهم، آمنين على أنفسهم وأموالهم، وأخذ عليهم أن لا يعينوا عليهم عدوًّا، وأن يكونوا معهم ضد من يعتدي عليهم، وكانت هذه المعاهدة معاهدة الصداقة بين المسلمين وغير المسلمين في بلد إسلامي أول معاهدة إسلامية من نوعها.
- ولما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه أن يزوروا البيت الحرام في السنة

السادسة للهجرة، وهي عام الحديبية، وتعرض المشركون لهم بعد أن صاروا على مقربة من مكة المكرمة، انتهت المفاوضات بين الفريقين إلى عقد معاهدة قامت على أسس أربعة في ظاهرها غبن على المسلمين ولكن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أمضى هذه المعاهدة، وعاد هو وأصحابه من غير أن يزوروا البيت الحرام، وكانت هذه أول معاهدة عقدت بين المسلمين وأعدائهم.

وهنا يظهر دور الأخلاق في إنجاح هذه المعاهدات والمواثيق، فأمر الله سبحانه باحترام العهود والمواثيق فقال سبحانه: ﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ ﴾ التوبة: ٧.

وفي القرآن الكريم في سورة براءة وفي سورة النساء آيات عدة توجب احترام العهود، والوفاء بالعقود، والنهي عن الاعتداء على قوم بينهم وبين المسلمين ميثاق، وأحكام الإسلام في احترام العهود والمواثيق آيات في العدل والوفاء.

والمعاهدة التي عقدها المسلمون في يثرب مع اليهود ما بدأ بنكثها إلا اليهود، والمعاهدة التي عقدها المسلمون مع المشركين في الحديبية كان البادئ بنقضها هم المشركون.

القتال:

• لما أُخرج المسلمون من ديارهم ظلمًا بغير حق، وأذن لهم أن يقاتلوا ظالميهم الذين أخرجوهم من ديارهم وأموالهم، واشتبك المسلمون مع أعدائهم في الحروب، اقتضت هذه الحروب تشريع أحكام حربية يتبعها المسلمون من بدء القتال إلى نهايته، وأوجب الإسلام أن لا يبدأ القتال إلا بعد الدعوة إلى الإسلام، ونهى عن الغدر والأخذ غيلة، وقتال من لا يقاتل، وبيَّن أحكام الأسرى والغنائم وسن قانونًا حربيًّا يكفل الرفق والرحمة، ويدفع الشر والعدوان بمثله، وكما كان التشريع الإسلامي مثلًا أعلى أخلاقيًّا في أحكام المعاهدات والمواثيق، كان مثلًا أعلى في أحكام الحرب والقتال.

التشريع الاجتماعي:

شرع لهم الأحكام التي تنظم أحوالهم الشخصية، ومعاملاتهم المدنية، ويُلاحظ البُعد الأخلاقي في كل هذه التنظيمات.

- فبعد أن كان الرجل يتزوج أي عدد شاء من النساء إلى غير حد وبغير قيد، قصر إباحة العدد على أربع، وشرط لإباحة العدد الأمْنَ من الجور، فمن خاف الجور لا تحل له إلا واحدة.
- وكان الزوج يطلق زوجته ما شاء من عدد الطلقات، فقصر عدد الطلقات ثلاث، وما كان للنساء نصيب في الإرث ولا للأطفال، فقصر أسباب الإرث على القرابة والمصاهرة ونعمة الإعتاق، وجعل للرجال نصيبًا وللنساء نصيبًا.
- وكان للدائن أن يسترق مدينه إذا أعسر عن أداء دينه، فقضى الله على هذا الظلم بقوله:

﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ ﴾

البقرة: ٢٨٠.

- وكان الدائن بواسطة الربا يأخذ دينه أضعافًا مضاعفة، فجرم الله الربا ومحقه.

وأخيرًا..

من استقرأ أحكام التشريع الإسلامي المدني، وقارن بينه وبين نظيره قبله، تبين أنها أحكام اقتضاها تطور حال المسلمين في حياتهم الجديدة بعد الهجرة، وتهيأت لها نفوسهم بكمال إيمانهم وقوة يقينهم، والتشريع العادل هو ما يساير تطور الأمة ويتهيأ له استعداد أفرادها وجماعاتها، وهذا نوع من التخطيط تربت عليه الأمة تدريجيًّا بالأخلاق السابق ذكرها فأصبح من اليسير عليها تقبل التشريعات والقيام بها في مجتمع فاضل.

المبحث الثالث: محمد ﷺ المثل الأكمل في الخُلق: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

بعدما رأينا ما كان من أمر الإسلام، وأخلاقه في كل حين دالًّا على أنه الدين المستفيض خيرًا وإصلاحًا وكمالًا، وتلقاه في أي ناحية اصطفيتها قبلة الاقتداء، ومحط الرجاء، فأضحى للماضي والآتي المعجزة الخالدة، وبقي صاحب الرسالة عليه السلام بلا منازع الأسوة الحسنة العظمى للصغير والكبير، وتمثلت في شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم أسمى مكارم الأخلاق، وتجمعت فيه كل الصفات الحميدة، فتعلق الناس به، وتركوا في حبه كل ما كان يربطهم بحياة الجاهلية الأولى، وبالجملة، فآية أخلاقه صلى الله عليه وسلم آية كبرى، وعلامةٌ عظمى من علامات نبوَّته ورسالته صلى الله عليه وسلم ففضائله وأخلاقه وشمائله لم تَجتمع لبشرٍ قطُّ قبله، ولا تَجتمع لبشرٍ بعده، يقول ابن حزم: (فإن سيرة محمد صلى الله عليه وسلم لِمَن تدبرَهَا تقتضي تصديقَه ضرورةً، وتشهد له بأنه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حقًّا، فلو لم تكن له معجزة سوى سيرته صلى الله عليه وسلم لكفى...)[1]. كما أن ابن حزم هو القائل: (من أراد خير الآخرة، وعدل السيرة، والاحتواء على محاسن الأخلاق كلها، واستحقاق الفضائل بأسرها، فليقتد بمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وليستعمل أخلاقه وسِيره ما أمكنه)[2]؛

ولذا أثنى الله سبحانه وتعالى عليه بما لم يثن على نبي من أنبيائه، فقال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ القلم: ٤،

(هذه بِمَثابة الرد على ادعاء المشركين أولًا عليه ﷺ ورميه بِالجنون؛ لأن أخلاق المجانين مذمومة بل لَا أخلاق لهم، وهنا أقصى مراتب العلو فِي الخلق... وقد أكد هذا السياق بعوامل المؤكدات باندراجه فِي جواب القسم الأول فِي أول السورة، وباللَّام فِي (لَعَلَى)، وجاء بِعَلَى الدَّالَّة على الاستعلاء والتمكن بدلًا من "ذو" مثلًا: ذُو خُلُقٍ عَظِيمٍ؛ لبيان قوة التَّمكن

(١) ابن حزم، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، (٣٤٢/١).

(٢) المرجع السابق.

والاستعلاء، وأنَّه ﷺ فوق كُلِّ خُلُقٍ عَظِيمٍ مُتمكِّن منه مستعل عليه...)[٣].

وكانت لكمال خلقه أسس بها اكتمل وبها اصطفاه الله وعليه خلد مثالا يحتذى، منها على سبيل المثال لا الحصر:

- **سلامة العقيدة**: فشأنُ العقيدة عظيمٌ، وأمرُها جلل؛ فالسلوك في الغالب ثمرةٌ لما يحمله الإنسان من فكرٍ، وما يعتقدُه من مُعتَقد، وما يدينُ به من دِين، والانحِرافُ في السلوك إنما هو ناتجٌ عن خللٍ في المعتقد.
- **الدعاء**: فالدعاء بابٌ عظيم، فإذا فُتِح للعبد تتابعت عليه الخيراتُ، وانهالت عليه البركات.

ولهذا كان النبيُّ ﷺ كثيرَ الضراعةِ إلى ربِّه يسألُه أنْ يَرزُقَه حُسنَ الخلق، وكان يقولُ في دعاء الاستفتاح: ((اللهمَّ اهدِني لأحسن الأخلاق؛ لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرِفْ عني سيئها؛ لا يصرفُ عني سيِّئها إلا أنت))[٤].

- وكثير من الأخلاق التي اتصف بها رسول الله ﷺ تعتبر أساسًا لجملة من الصفات، منها:

١. الصبر: فهو من الأسس الأخلاقيَّة التي يقومُ عليها الخلق الحسن؛ فالصبر يحملُ على الاحتمال، وكظم الغيظ، وكف الأذَى، والحلم، والأناةِ، والرفق، وترك الطيش والعجلة.

٢. العفة: فهي تحملُ على اجتناب الرذائل والقبائح من القول والفعل، وتحملُ على الحياءِ، وهو رأس كلِّ خيرٍ، وتمنعُ من الفحشاء، والبخل، والكذب، والغيبة، والنميمة.

٣. العدل: فهو يحملُ على اعتِدال الأخلاق، وتوسُّطها بين طرفي الإفراط والتفريط، ونصرة المظلوم، وأداء الحقوق، والأمانة، والصدق.

(٣) محمد الأمين الشنقيطي، **أضواء البيان**، (٢٤٩/٨).

(٤) الإمام مسلم، صحيح مسلم، **كتاب صلاة المسافرين وقصرها**، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، (٥٣٤/١)، رقم ٧٧١.

٤. التواضُع: هو في حقيقته بذلُ الاحترام والعطف والرفق واللين والرحمة.

٥. الحياء: فالحياء خلقٌ سَنِيٌّ، يبعث على فعل الجميل وتركِ القبيح. فإذا تحلَّى المرء به انبعَثَ إلى الفضائل، وأقصَرَ عن الرذائل. والحياء كلُّه خيرٌ، والحياء لا يأتي إلا بخيرٍ، والحياء خلُق الإسلام، وهو شُعبة من شُعَبِ الإيمان. قال -عليه الصلاة والسلام-: ((الحياء لا يأتي إلا بخيرٍ))[١].

٦. الشجاعة: فهي تحمل على عزَّة النفس، وإباءة الضيم، وإيثار معالي الأخلاق والشيم، وعلى البذل والعطاء.

وهذا الذي ذكرناه من أسس خُلقه صلى الله عليه وسلم وحسن أخلاقه قليلٌ من كثير، وغَيض من فَيض، مما لا يمكن الإتيان على جميعه في بحث أو كتاب. وأجمع وصف له ما ذكرته السيدة عائشة رضي الله عنها حين سئلت عن خلق النبي ﷺ فقالت: ((كان خُلُقه القرآن))[٢].

(وإذا كان خلقه صلى الله عليه وسلم هو القرآن، فالقرآن يهدي للتي هي أقوم، والمتأمل للقرآن في هديه يجد مبدأ الأخلاق في كل تشريع فيه حتى العبادات، ففي الصلاة خشوع وخضوع وسكينة ووقار، "فأتوها وعليكم السكينة والوقار"، وفي الزكاة مروءة وكرم "يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى"، وقوله: "إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا"، وفي الصيام: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»، وقوله صلى الله عليه وسلم: «الصيام جنة»، وفي الحج: "فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج"، وفي الاجتماعيات: خوطب صلى الله عليه وسلم بأعلى درجات الأخلاق، حتى ولو لم يكن داخلا تحت الخطاب؛ لأنه ليس خارجًا عن نطاق الطلب: "وقضى

(١) الإمام مسلم، صحيح مسلم، **كتاب الإيمان**، باب شعب الإيمان، (٦٤/١)، رقم ٣٧.

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث عائشة رضى الله تعالى عنها، (٩١/٦)، ح(٢٤٦٤٥) تعليق شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.

ربك ألا تعبدوا إلا إياه"، ثم يأتي بعدها "وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا" مع أن والديه لم يكن أحدهما موجودًا عند نزولها، إلى غير ذلك من التعاليم العامة والخاصة التي اشتمل عليها القرآن)[٣].

ونجد أخلاقه متجسدة واضحة جلية في أحداث الهجرة، فالمبادئ لا تتجزَّأ، والالتزام بها ضرورةٌ لأهل العقيدة، رغمَ كلِّ الظروف.

- فنجد نصرة الدين لدى رسول الله أعلى من كل اعتبار، فالوطن العزيز على النفس جبلة، يتركه حين أصبح في تركه نصرة لعقيدته ورفع لرايته، فقد ترك النبي صلى الله عليه وسلم مكة وهي أحب البقاع إليه لما أراد أن يؤسس للإسلام دولة.
- وكان حريصًا على أداءِ الأمانات التي كانتْ مودعةً لديه إلى أهلها، رغم أنهم استباحوا دمَه، وأرادوا قتْلَه، بل أدْمَوه وآذوه وطردوه، لكنَّه لم يشأْ قتلَهم، ولم يستبِحْ أموالهم، فهو حريص على ما هو أبعد وأهم من الانتقام لنفسه وهو أن يغرس في أتباعه حب الأمانة، وكره الخيانة، بل يحرم عليهم الخيانة والغدر حتى مع الأعداء، وإن تآمروا على المسلمين وآذوهم، وصَدَق الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ﴾ النساء: ٥٨، ورغم علمه بما تآمروا عليه من قتله، إلا أنه أبقى عليًّا رضي الله عنه في فراشه، ليرد الأمانات التي عنده إلى رجالات قريش الذين تآمروا عليه، وهذا رد خلقي نبوي إسلامي صافع وصاعق.
- واستمرت أخلاقيات الهجرة حتى العودة إلى الموطن مرة أخرى ولو بعد عشر سنين، فالذى حدث أن المسلمين بعد أن هاجروا إلى المدينة رجعوا وهم أكثر قوة وأشد بأسًا منتصرين على من كانوا يعتدون عليهم، ونجد قائد الهجرة ﷺ العظيم فى بشريته لا تحركه النزعات

(٣) محمد الأمين الشنقيطي، **أضواء البيان**، (٢٤٩/٨).

الانتقامية عندما يعود من هجرته منتصرًا على من أخرجوه من بلده ويأتى الحوار الذى يُعَدُّ المثل الأعلى بين قائد منتصر وأعداء سبقت تعدياتهم عليه وعلى من معه، حيث يقول القائد ﷺ: ما تظنون أنى فاعل بكم؟ فيردون: خيرًا أخ كريم وابن أخ كريم، فيقول: ﷺ بشخصية القائد الرحيم الذى لا تحكمه نزعات الانتقام والتشفى من أعدائه: اذهبوا فأنتم الطلقاء.

تلك هي أخلاقيات الإسلام وقيمه التى تجدها في رسول الله من خلال كل قول وسلوك وتصرف يقوم به بين الناس.

الفصل الثالث: علاقة الأخلاق بالتخطيط (الغاية النبيلة لا تتحقق إلا بالوسيلة النبيلة)

للوصول إلى العلاقة بين التخطيط والأخلاق، وتأثير كل منهما على الآخر، وأن أحدهما سبب للآخر؛ فالتخطيط الناتج عن رجاحة العقل يهدي إلى مكارم الأخلاق، والالتزام بالأخلاق يؤدي إلى نجاح التخطيط للوصول إلى الهدف، نستعرض الآيات الكريمة التي تناولت الجانبين في شخص رسول الله ﷺ كما فصلناهما منفصلتين في المباحث السابقة المتعلقة بوصف النبي ﷺ كلٌّ في موضعه[1]، ونتناول هذه الآيات تفسيريًّا لنستخرج منها هذه العلاقة بين التخطيط والأخلاق على طريقة المفسرين في الاستنباط.

قال تعالى مستفتحًا سورة القلم: ﴿ نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾ القلم: ١ – ٤.

انظر ما يقوله ابن عطية عن مقابلة الخلق لتهمة الجنون وكأنه يشير أن تمام العقل هو في تمام الخلق: (الظاهر من الآية أن الخلق هي التي تضاد مقصد الكفار في قولهم مجنون، أي غير محصل لما يقول، وإنما مدحه تعالى بكرم السجية وبراعة القريحة والملكة الجميلة وجودة الضرائب، ومنه قوله عليه السلام: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»)[1].

ويقول البقاعي في علاقة الآيات وترتب الأجر من الله إنما يكون على عمل في قول الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾: (والأجر لا يكون إلا على العمل الصالح، والعمل رشح الأخلاق، فصالحه نتيجة الأخلاق الحسنة والعقل الراجح. ولما ثبت بهذا العقل مع ما أفاده من الفضل، وكان الذي يؤجر قد يكون في أدنى رتب العقل، بين أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أعلاها بقوله مؤكدًا لما مضى: ﴿ وَإِنَّكَ ﴾ وزاد في التأكيد لزيادتهم في المكابرة فقال: ﴿ لَعَلَىٰ خُلُقٍ ﴾ ولما أفهم السياق التعظيم، صرح به فقال: ﴿ عَظِيمٍ ﴾.. فهذا الخلق نتيجة الهدى،

(١) انظر مبحث رجاحة عقل النبي ﷺ، ص٢٨، ومبحث كمال خلق النبي ﷺ، ص ٤٠، من هذا البحث.

(١) ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ط١، (٣٤٦/٥).

والهدى نتيجة العقل)[٢].

وبهذا نرى العلاقة المطردة بين العقل (وهو ما نشير إليه هنا بالتخطيط فلا يتأتى التخطيط الجيد إلا عن عقل راجح)، وبين الأخلاق (وهي كما أشرنا مرتبطة بكل جوانب الحياة التعبدية والتشريعية)، فالعمل المترتب عليه الأجر من الله مرتبط بالأخلاق كما أن العقل مدار التكليف الذي يترتب عليه الثواب والعقاب أي: (الأجر) مرتبط بالأخلاق.

لذلك كان للأخلاق دور كبير في نجاح هجرة رسول الله ﷺ، سواء كانت أخلاقه ﷺ، أو أخلاق من كانوا معه من المهاجرين، فلولا التزامهم بهذه الأخلاق التي أشرنا إليها من أخلاقيات الهجرة من تعاون وإيثار وتضحية وشجاعة وصبر ما نجح ما خطط له رسول الله ﷺ مع رعاية الله عز وجل أولًا وأخيرًا، وهذا ما حرص عليه رسول الله ﷺ طوال ثلاث عشرة سنة في مكة قبل الهجرة، وهو ما دله عليه رجاحة عقله وكمال خلقه ﷺ.

وأختم بجميل ما قاله الشيخ الشنقيطي في تعقيبه على هذه الآيات حيث جعل الخلق عقلًا!

(اتفق علماء الاجتماع أن أسس الأخلاق أربعة، هي: الحكمة، والعفة، والشجاعة، والعدالة.

ويقابلها رذائل أربع، هي: الجهل، والشره، والجبن، والجور. ويتفرع عن كل فضيلة فروعها:

الحكمة: الذكاء وسهولة الفهم، وسعة العلم. وعن العفة: القناعة، والورع، والحياء، والسخاء، والدعة، والصبر، والحرية. وعن الشجاعة: النجدة، وعظم الهمة. وعن السماحة: الكرم، والإيثار، والمواساة، والمسامحة. أما العدالة –وهي أم الفضائل الأخلاقية– فيتفرع عنها: الصداقة، والألفة، وصلة الرحم، وترك الحقد، ومكافأة الشر بالخير، واستعمال اللطف. فهذه أصول الأخلاق وفروعها، فلم تبق خصلة منها إلا وهي مكتملة فيه صلى الله عليه وسلم وقد برأه الله من كل رذيلة، فتحقق أنه صلى الله عليه وسلم على خلق عظيم، فعلًا وعقلًا)[٣].

(٢) البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، (٢٠/٢٩٢).

(٣) محمد الأمين الشنقيطي، **أضواء البيان**، (٨/٢٥١-٢٥٢).

الخاتمة

إن الهجرة في معناها الحقيقي هي الدعوة إلى إصلاح أحوال الأمة بالعودة إلى أصولها الصحيحة، وإحداث حالة من التحوُّل السلوكي والأخلاقي والثقافي والاجتماعي، إلى الإسلام ممارسةً وانتماءً وأخلاقًا ومعاملات، وهذا التحوُّل يحتاج إلى نية صادقة وثبات على ما ندعو إليه من حق، مهما كلف هذا الثبات من تضحيات، وهذا هو الجهاد الذي نفهمه من قول نبينا محمد ﷺ: "... ولكن جهاد ونية"(١)، فقصر مفهوم الهجرة على معنى الانتقال من مكان إلى مكان وربطها بالحدث التاريخي الذي حدث بانتقال الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة تضييق للمعنى الإيماني المتجدد والمقصود من معاني الهجرة، وتعطيل للمعنى الحركي الإيجابي التغييري الذي ينبغي أن يمارس في كل لحظة من لحظات المؤمن في كل زمان ومكان.

الأمة كلها مدعوَّة اليوم لكي تراجع فهمها للهجرة في ضوء حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: "والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه"(٢)، وعندما نفهم الهجرة في ضوء هذا الحديث سنعلم أن كل فرد في هذه الأمة مطالب بممارسة التهاجر يوميًّا؛ لأنها ستعني كراهية الباطل وهجره ومحاولة تغييره.

ويوم يجتمع في كيان المؤمن نية صادقة، ومجاهدة خالصة، وإقبالٌ على الله؛ يكون قد هاجر فأحسن الهجرة، وآمن فاستكمل الإيمان، وعندها نكون قد فقهنا قول نبينا صلى الله عليه وسلم: "لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا"(٣).

حين نصحح المفهوم الخاطئ لمدلول كلمة الهجرة، وقصر معناها على الجانب المادي وحده، وهو الانتقال من مكان إلى مكان؛ حينها فقط سنتجاوز الضعف والخلل القائم بنا لنستحق لقب النموذج العصري للحالة الفاضلة السابقة حتى نجني النتائج الكريمة نفسها،

(١) الإمام البخاري، **صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير**، باب فضل الجهاد والسير، (١٥/٤)، رقم ٢٧٨٣.

(٢) الإمام البخاري، صحيح البخاري، **كتاب الإيمان**، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، (١١/١)، رقم ١٠.

(٣) الإمام البخاري، صحيح البخاري، **كتاب الجهاد والسير**، باب فضل الجهاد والسير، (١٥/٤)، رقم ٢٧٨٣.

فطالما أن هنالك نقاط التقاء من خلق وإيمان؛ فإن إمكانية الوصول إلى نتيجة إقامة المدينة الفاضلة من جديد واردةٌ وحاضرة، ولكن شرط ذلك أن نسعى لتجاوز نقاط الخلاف بيننا وبين الهجرة الفاضلة.

ونخلص من هذا البحث بنتائج، وهي كالآتي :

* الإسلام على وجه الخصوص قد ردم الفجوة بين النظرية والتطبيق، فالنظريات عادة يحدث بينها وبين التطبيق الواقعي فجوة لاستحالة تطبيقها تطبيقًا كاملًا على أرض الواقع، إلا دين الإسلام لأنه من لدن حكيم خبير يعلم من خلق، وليس هناك شاهدٌ على إمكانية تطبيق النصوص تطبيقًا واقعيًا كاملًا خيرٌ من السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي في عصور الالتزام بالمنهج والهجرة نموذجًا حيًا نعيش آثاره حتى اليوم، فعلينا دراسة السيرة النبوية دراسة تطبيقية يراد منها تجسيد الحقيقة الإسلامية كاملة يكون مثلها الأعلى محمد صلى الله عليه وسلم.

* المضي في تفسير السيرة النبوية على منهج القرآن الكريم الذي قص علينا سير الأنبياء السابقين بصورة شبه كاملة تقريبا.. فعلينا أن نجمع سيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كذلك بنفس المنهجية القرآنية؛ لتحقيق الأهداف التي من أجلها بسط الله تعالى سير الأنبياء عمومًا.

* تحقيق محبة الرسول صلى الله عليه وسلم من أهم واجبات المسلم في الحياة لتحقيق الإيمان، ويكون ذلك من خلال معرفة كمال أخلاقه والتخلق بها، عمل دراسات تربوية وميدانية بتفعيل دور المعلم والمربي في نشر أخلاق النبي وسيرته للأجيال الصاعدة.

* وقائع الهجرة تؤكِّد كلها على ضرورة التخطيط، والدراسة للقضايا الكبيرة والأمور الجزئية، والدقة في الحركة والتنفيذ، والتعامل مع الأسباب للوصول إلى النتائج، والتوكل على الله واللجوء إليه، بعد بذل الطاقة والإمكانات، وعلى الأمة للوصول إلى المطلوب والمرغوب أن تأخذ بأسبابِ النجاح دون التعويلِ عليها وحْدَها وصولًا إلى الأهدافِ الجُزئية والمرحليَّة التي تمهِّد الطريق للأهداف الكبيرة والكُليَّة، مع التوكُّل على الله والثِّقة فيه، والتعلق بعونِه ومعيَّته.

* لن تقع معجزة؛ لأن المسلمين لم يأخذوا بالأسباب، فالأولى أن تأخذ الأمة بالأسباب وكأنها كل شيء فيما يبدو، ويجب أن تتوكل على الله وكأنها ليست بشيء. العالم الغربي أخذ بالأسباب واعتمد عليها، وألهها؛ فوقع بالشرك، والعالم الشرقي لم يأخذ بها مدعيًا أنه متوكل على الله، وهذا ليس توكلًا بل تواكلًا؛ وقع في المعصية، وما زلنا ننتظر معجزة تنقذنا!

* الأهداف النبيلة لا يمكن أن يختار لها المسلم إلا وسائل نبيلة، والمؤمن القوي خير وأحب إلى الله تعالى من المؤمن الضعيف، وإذا كان طريق القوة سالكًا وفق منهج الله فينبغي أن تكون قويًّا، أما إذا كان طريق القوة على حساب دينك وقيمك، ومبادئك فالضعف وقتها وسام شرف للإنسان.

* الهِجرةُ سلوكٌ واجب ومستمرٌّ، علينا أن نباشِرَه ونمارسَه على كلِّ المستويات، وفي جميعِ الأوقات، وأخلاقٌ عالية، وقِيَم رفيعة يجب أن نَحْياها ونعيشها على طولِ الطريق رغمَ وعْثائه وأشواكه.

* تُثبت الهجرة أنَّ المبادئ لا تتجزَّأ، وأنَّ الالتزامَ بها ضرورةٌ لأهل العقيدة، رغمَ كلِّ الظروف.

* نجاح الهجرة قام على تعاون عدد من الرجال والنساء، كان لكل منهم دوره المرسوم الذي أداه بدقة، لو قام كل منا بدوره المطلوب وتعاونَّا لتخطينا أزماتنا وتجاوزنا ضعفنا وحللنا مشكلاتنا.

* رسَّخت أخلاقيات الهجرة النبوية الشريفة الحب الصادق بل الأخوة الصادقة بين المهاجرين، نحن بحاجة لقليل من الحب لحل مشكلاتنا ولسنا بحاجة لحلول سياسية أو معجزات.

* رسَّخت أخلاقيات النبوة بين المهاجرين مبدأ الطاعة لأمر القائد باعتباره خلقًا إسلاميًّا أصيلًا، وهذا التخطيط وهذه الأخلاق ما انتظمت في عقد واحد لولا طاعة القائد. فالهجرة الفاضلة كانت رايتها واحدة، والكل وجهته مع النبي ﷺ.

* تأسيس أرضية طيبة من الثقة والاحترام مع غير المسلم تهيئه فيما بعد لتقبل الدعوة، والاستفادة من خبراتهم إذا أُمن غدرهم، مع النظر الدقيق في قاعدة المصالح والمفاسد، فالمؤمن فَطِنٌ أينما يجد ضالته فهو أولى بها، لنستخدم ما توصلوا إليه لكل ما اخترعوه، لكل ما اكتشفوه، لنسخر حضارتهم لصالحنا، ولننشغل بنهضة أمتنا عن التآمر والتناحر.

* الهجرة تعدُّ تضحية بكل ما تحمل كلمة التضحية من معانٍ؛ فهي تضحية بالمال وتضحية بالوطن لأجل الوطن، وتضحية بالنفس والروح، وقد تم من خلالها التفريق بين المرء وأهله، وكانت عقيدة الولاء والبراء من أكبر العقائد التي برزت على الساحة زمن الهجرة الفاضلة، فماذا قدمت وبماذا ضحيت لأجل الوطن، لأجل الأمة، لأجل الإسلام؟

* الهجرة النبوية كانت انتقالًا من جهاد إلى جهاد، من جهاد الصبر على أذى قريش إلى جهاد الصبر على إقامة دولة ونشر الدين ومخاطبة القبائل والملوك، لم تكن للراحة، والمطلوبُ مِن كلٍّ منَّا أن يهاجر، يهاجِر مِنَ المعصية إلى الطاعَة، مِن الفردية إلى الجَماعة، مِن الكسل إلى العمل، مِن القنوط إلى الأمَل، مِن الضَّعْف إلى القوَّة، ومِن التسفُّل إلى القِمة، مِن الذلَّة إلى العِزَّة، من الحِصار إلى الانتشار، ومِن الانكسارِ إلى الانتِصار، مِن الانكفاءِ على الذات إلى الاهتمامِ بشأن المسلمين، مِن التعصُّب للرأي إلى النزولِ علَى الشورى، مِن مصلحة الفرْد إلى مصلحةِ المجموع، مِن حياةِ الهوان والحِرْمان إلى حياةِ الإيمان والإحسان.

وأُوصي بالتالي:

- إعداد مناهج تعليمية حديثة للسيرة النبوية في المراحل الدراسية المختلفة، والعمل على إدخالها في المقررات الدراسية.
- ربط العلماء والباحثين في الجامعات ومراكز البحوث المتعلقة بالسيرة النبوية، بالنشاط العلمي لعموم أعضاء هيئة التدريس.
- إعداد الحقائب العلمية التدريبية في موضوعات السيرة النبوية وتنظيم الدورات في ذلك بإسهام المتخصصين إعدادًا وتدريسًا.
- تجديد آليات العمل عن طريق إعداد برامج معلوماتية، ومشاريع إلكترونية متكاملة تُعنى بالسيرة النبوية، لتسهيل الانتشار وتوسيعه عبر حسابات متخصصة على برامج التواصل الاجتماعي الحديثة، الفيسبوك وتويتر وغيرها.
- التوصية بالربط الدائم بين الجوانب النظرية في البحوث والدراسات والأوراق العلمية وبين الجوانب العملية التطبيقية من خلال مبادرات ومشروعات تجمع بين الجوانب العلمية والعملية مع استخدام خصائص وفوائد التقنيات الحاسوبية وبرامج التواصل الاجتماعي.

والله ولي التوفيق.

فهرس الموضوعات

صفحة العنوان.....١
صفحة البسملة.....٢
المقدمة.....٣-١٤
التمهيد.....١٥
أولًا: تعريف الهجرة..... ١٦
ثانيًا: تعريف التخطيط.....١٧
ثالثا: تعريف الأخلاق.....١٨-١٩
الفصل الأول: منهجية التخطيط (تطبيق على خطة الهجرة النبوية).....٢٠
المبحث الأول: مهارات التخطيط الحديثة.....٢١-٢٢
المبحث الثاني: الهجرة نموذج للتخطيط عالي الدقة.....٢٣-٢٤
المبحث الثالث: أرجحية عقل الرسول على سائر العقول (ماأنت بنعمة ربك بمجنون) ٢٥-٢٦
الفصل الثاني: منظومة الأخلاق (تطبيقات على أخلاقيات الهجرة).....٢٧
المبحث الأول: أخلاقيات الهجرة.....٢٨-٢٩
المبحث الثاني: التشريع والأخلاق.....٣٠-٣١
المبحث الثالث: محمد ﷺ المثل الأكمل في الخُلق(وإنك لعلى خلق عظيم).....٣٢-٣٣
الفصل الثالث: علاقة الأخلاق بالتخطيط (الغاية النبيلة لا تتحقق إلا بالوسيلة النبيلة)٣٤ -٣٥
الخاتمة.....٣٦
النتائج..... ٣٧-٣٨
فهرس الموضوعات.....٣٩
المصادر والمراجع.....٤٠-٤١

المصادر والمراجع

١. ابن الأثير، المبارك بن محمد، (**النهاية في غريب الحديث**)، ت: طاهر أحمد الزاوي ومحمود الطناحي، ط١، مصر، دار أحياء الكتب العربية، ١٣٨٣هـ.

٢. الأصفهاني، أبو نعيم، (**دلائل النبوة**)، ت: عبد البر عباس، محمد رواس قلعه جي، ط٢، بيروت، دار النفائس، ١٤٠٦ هـ- ١٩٨٦ م.

٣. الألباني، محمد ناصر الدين، (**صحيح الجامع الصغير وزياداته**)، د.ط، د.م، المكتب الإسلامي، د.ت.

٤. البخاري، محمد بن إسماعيل، (**صحيح البخاري**)، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، د.م، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

٥. البقاعي، إبراهيم بن عمر، (**نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**)، د.ط، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، د.ت.

٦. الحسني، عبد الله الغماري، (**دلالة القرآن المبين على أن النبي أفضل العالمين**)، ط١، د.م، د.ن، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٧. الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن، (**سنن الدارمي**)، ت: حسين سليم أسد الداراني، ط١، المملكة العربية السعودية، دار المغني للنشر والتوزيع، ١٤١٢هـ.٢٠٠٠م.

٨. أبو داود، (**سنن أبي داود**)، ت: محمد محي الدين عبد الحميد، د.ط، صيدا، المكتبة العصرية، د.ت.

٩. الراغب الأصفهانى، الحسين بن محمد، (**المفردات في غريب القرآن**)، ت: صفوان عدنان الداودي، ط١، دمشق، بيروت، دار القلم، الدار الشامية، ١٤١٢ هـ

١٠. السعدي، عبد الرحمن، (**تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**)، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط١، د. م، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م.

١١. ابن عاشور، محمد الطاهر، (**التحرير والتنوير**)، د.ط، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

١٢. ابن عطية، عبد الحق بن غالب، (**المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**)، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ.

١٣. عمارة، محمد، (**محمد المصطفى المعصوم بشر يوحى إليه**)، ط١، د.م، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

١٤. عيد، عبد العزيز، (**لماذا محمد ﷺ؟**)، ط١، القاهرة، دار العالم العربي، ٢٠١٠م.

١٥. الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، (**القاموس المحيط**)، ت: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط٨، بيروت ـ لبنان، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

١٦. القاسمي، محمد جمال الدين، (**محاسن التأويل**)، ت: محمد باسل عيون السود، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ.

١٧. القرطبي، محمد بن أحمد، (**الجامع لأحكام القرآن**)، ت: أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش، ط٢، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.

١٨. القزويني، أحمد بن فارس، (**مقاييس اللغة**)، ت: محمد عبد السلام هارون، ط١، بيروت ـ لبنان، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧١هـ.

١٩. قطب، سيد، (**في ظلال القرآن**)، ط١٧، بيروت- القاهرة، دار الشروق، ١٤١٢هـ.

٢٠. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، (**تفسير ابن كثير**)، ت: سامي محمد سلامة، ط٢، د.م، دار طيبة، ١٩٩٩م.

٢١. (**المعجم الوسيط**)، مجمع اللغة العربية، د.ط، القاهرة، دار الدعوة، د.ت.

٢٢. ابن منظور، محمد بن مكرم، (**لسان العرب**)، ط١، بيروت ـ لبنان، دار صادر، د.ت.

٢٣. النيسابوري، مسلم بن الحجاج، (**صحيح مسلم**)، ت: محمد بن فؤاد عبد الباقي، ط١، د.م، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٤م.

٢٤. الواحدي، علي بن أحمد، (**أسباب النزول**)، ت: عصام عبدالمحسن الحميدان، ط٢، الدمام ـ السعودية، دار الإصلاح، ١٤١٢هـ -١٩٩٢م.